اللغات السامية

تخطيط عام

للمستشرق الألماني الكبير

تيودور نولدكه

ترجمه عن الألمانية

دكتور رمضان عبد التواب

مدرس بكلية آداب عين شمس

الناشر

دار النهضة العربية

٣٢ شارع عبد الخالق ثروت

بالقاهرة ت : ٧٦٢٣١

اللغات السامية

تخطيط عام

للمستشرق الألماني الكبير

تيودور نولدكه

ترجمه عن الألمانية

دكتور رمضان عبد التواب

مدرس بكلية آداب عين شمس

الناشر

مكتبة دار النهضة العربية

٣٢ شارع عبد الخالق ثروت : ت ٢٦٢٣١

مقدمة

لم يعتن علماء العربية فى الماضى بدراسة اللغات السامية ، على الرغم من أن بعضها كان معروفا لديهم ، وكان ذلك منبع ضلالات وأوهام لا تزال تقابلنا فى مؤلفاتهم التى تركوها لنا ، رغم ما فيها من جهد يشهد لهم بالصبر والكفاية مدى الدهر ، فقد نشأ بين اللغويين والنحويين خلافات لا حصر لها ، وطال بينهم الجدل والنقاش حول كثير من المسائل التى تجد حلولها فى أخوات اللغة العربية من اللغات السامية الأخرى ؛ لقد اختلفوا مثلا فى إسم الاشارة « هذا » : أى أجزائه هو الأداة ؟ أهو « ذا » وحدها ، أو « هذا » كلها ، أو « الهاء » فقط ؟ وإذا كان لاسم الإشارة « هذا » نظائر فى اللغات السامية الأخرى ، كان من الممكن أن نقارن بينها ، ونعرف الأصول من الزوائد ، ويبدو لنا الأمر جليا لا غموض فيه .

وعلى الرغم من أن دراسة اللغات السامية تلق منا الآن بعض العناية فى بلادنا العربية ، إلا أننا لا نزال نعترف للمستشرقين بجهودهم الجبارة فى هذا الميدان ، ولا نزال نغترف من بحارهم فى هذا الموضوع ، ونقرأ بشغف وتلهف ما يكتبونه عنه ، ونتابع باهتمام أنباء الاكتشافات المتوالية التى يقوم بها علماؤهم فى هذه الناحية .

والكتاب الذى أقدمه اليوم لقراء العربية هو لشيخ المستشرقين وكبيرهم العلامة « نولدكه » المستشرق الألمانى المشهور ، وهو وإن كان قد مضى على تأليفه بعض الوقت ، إلا أنه لا يزال مرجعاً لكل من يريد أن يرسم فى ذهنه صورة

سريعة عن اللغات السامية ، وهو حلقة مهمة فى سلسلة الدراسات التى دارت حول هذا الموضوع ، والتى نرجو أن تطلع قراء العربية على ذخائرها تباعا ، حتى ينتفع بها الدارسون المتعطشون ، ولتكون حافزا لهم على النظر فيما خلفه لنا السابقون فى ضوء الدراسات الجديدة . وبالله التوفيق .

القاهرة فى ١٩٦٢/٢/١ رمضان عبد التواب

مثلت الطبعة الأولى لهـــذا الكتاب الأصل الألمانى لمقالى « اللغات السامية » Semitic Languages الذى نشر فى « دائرة المعارف البريطانية » Encyclopaedie Britannica مع كثير من التصحيحات والإضافات .

وقد أهديت الطبعة الأولى للصديق الحميم بروفسور « فريدرك فيزلر » Fried . wiesler بمدينة « جوتنجن » Gottingen بمناسبة مرور خمسين عاما (اليوبيل الذهبي) على حصوله على الدكتوراه

أما هذه الطبعة الثانية فقد جاءت نتيجة الفحص الدقيق .

شتراسبورج فى مارس ١٨٩٩

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

إلى « جورج هوفمان » فى « كيل »

عزيزى هوفمان !

حين أهدى إليك الطبعة الثانية من كتابى المتواضع عن اللغات السامية ، فإننى أعتبر ذلك شيئاً أكثر من مجرد رمز للصداقة التى بيننا وأود بذلك أن أعبر لك فى نفس الوقت عن أشكرى على الإفادة وحفز الهمة ، التى حوتها كتاباتك ، وكذلك أحاديثك معى ، تلك الأحاديث التى كانت نادرة مع الأسف .

لاشك أنك تعلم أننى أحكم على كثير من مسائل اللغات السامية حكماً يخالف حكمك أنت عليها ، وأننى أكتفى غالباً بكلمة « لا أدرى » فى حين أنك بذكائك لا تزال تأمل فى الحصول على نتائج راجحة . لقد تأملت بعناية فى مناقشتك الواعية المفيدة للطبعة الأولى من هذا الكتاب ، كما أطلعت كذلك على غيرها من المناقشات القيمة ، ولكنك لم تستطع بعد أن تحملنى على رأيك فى مواضع مختلفة ، غير أننا — على ما أعتقد — نقترب الآن أكثر من ذى قبل ، فى مسألة مهمة ، وأعنى بها فهم الأصل القديم للغات السامية ، وسيظهر ذلك مما سوف أشرع فيه الآن من بيان مفصل بعض الشىء .

وإذا كان هدفنا هو الوصول إلى الحقيقة ، فماذا تعنى هذه الخلافات القائمة بيننا ، والتى بنيت على مبادىء علمية لدى الطرفين ، كما بنيت قبل كل شىء على أساس السعى المتواصل لمعرفة الحقيقة ، مع علمنا الكامل بأن كفايتنا محدودة ؟

اللغات السامية

يسمى بهذا الإسم : « اللغات السامية » مجموعة من لغات آسيا وأفريقيا لايزال بعضها حيا إلى اليوم ، أما بعضها الآخر فقدمات ، ونعنى بهذه اللغات العبرية ، والفينيقية ، والآرامية ، والآشورية ، والعربية ، والحبشية (الجعزية والأمحارية . . الخ) . وقد سميت تلك اللغات بهذه التسمية — التى كان أول من إقترحها « شلوتسر » Sclözer (١) ـ لأن معظم الشعوب التى تتكلم بهذه اللغات منحدرة من نسل سام بن نوح ، كما فى سفر التكوين من أسفار التوراة . وطبيعى أن تقسيم سفر التكوين للشعوب — فى الاصحاح العاشر منه — لا ينبنى على وجهة نظر لغوية ، كما أنه غير مبنى على علم بطبائع الشعوب ، ولكنه يعتبر أكثر مايعتبر الحدود الجغرافية والعلاقات السياسية ؛ ولهذا فقد عدّ كلاًّ من « عيلام » Elam و « لود » Lud من أبناء سام ، فى حين أنه لا تبدو أية صلة قرابة بين لغة العيلاميين واللوديين ، وبين اللغة العبرية(٢) ومن جانب آخر لم يعدّ من الساميين فى هـــذا السفر

---

(١) فى Eichhorn's Repertorium حـ ٨ (١٧٨١) ص ١٦١ الذى نبهنى إليه Kautzsch وقـــد شاع صيته بين الناس بسببه . انظر كذلك الطبعة الثانية من كتابه Einleitung in das Alte Testament حـ١ ص ٤٥ (ليبزج ١٧٨٧)

(٢) يدل على تعلق اللوديين السياسى بالدولة الآشورية (فى الشعوب السامية) أيضاً اشتقاق أسماء ملوكهم فى Ninus (اللقب التاريخى لـ Ninive) و Belus (الإله الرئيسى لهذه البلاد) انظر تاريخ هيرودوت ١ / ٧

الفينيقيون (الكنعانيون) الذين تمت لهجتهم حقا بصلة قرابة متينة للهجة الإسرائيليين ، وفيما عدا ذلك لم يقدم لنا مؤلف جدول الشعوب (التكوين ص ١٠) صورة واضحة عن العلاقات، بين شعوب جنوبى الجزيرة العربية وشعوب الحبشة .

و بالرغم من كل ذلك فقد يكون من غير الصواب أن يراد ترك هذه التسمية : « الساميون ، واللغات السامية » . وإذا كان لا يوجد إسم طبيعى لمجموعة كبيرة من اللغات والشعوب؛ لأن الشعوب لم تكن على علم بما بينها من صلات القرابة — فإنه ينبغى على العلم أن يصطنع لها اسما ، وكم يكون حسنا حين تكون كل تلك التسميات قصيرة وواضحة .

وصلات القرابة الموجودة بين اللغات السامية بعضها البعض صلات وثيقة نوعا ما ، وهى على أى حال أوثق منها بين اللغات الهندوأوروبية (الهند وجرمانية) ؛ فإن اللغات السامية القديمة لا تبعد عن بعضها بمقدار ما تبعد اللهجات الجرمانية المختلفة بعضها عن بعض . ولذلك فقد كان لدى المستشرقين الكبار فى القرن السابع عشر (أمثال هوتنجر **Hottinger** وبوخارت **Buchart** وكاستل **Castel** ولودولف **Ludulf**) صورة واضحة إلى حد ما عن علاقة القرابة الموجودة بين اللغات السامية التى كانت معروفة لهم ، وقد تنبه علماء اليهود منذ عدة قرون إلى هذه العلاقة مثل « يهودا ابن قريش » (حوالى مطلع القرن العاشر الميلادى) .

ويمكن بسهولة إلى حد ما عمل قائمة بخصائص ومميزات تشترك فيها

اللغات السامية كلها ، ومن هذه الخصائص : كثرة الأصول الثلاثية أو المبنية قياسا على تلك الأصول ، ووجود الزمنين الرئيسيين لحدوث الفعل ، وتغير الدلالة بتغير حركات الكلمة الداخلية . وفيما عدا ذلك نلاحظ المشابهة فى بناء الموازين الاسمية والفعلية ، وكذلك اتفاق صيغ الضمائر وطريقة استعمالها . هذا إلى بناء صيغ الفعل ، والمشابهة الكبيرة نوعا ما فى تركيب الكلام وبناء الجمل ، وأخـــيراً كثرة المفردات المشتركة بين هذه اللغات .

غير أنه يبدو أن اللغة الآشورية لا تشترك فى كل هذه الخصائص ، كما أن بعض اللهجات الحالية : مثل السريانية الحديثة ، والمهرية ، وكذلك الأمحارية ، قد فقدت كثيراً من خصائص اللغات السامية القديمة . هذا إلى أن الاتفاق فى المفردات يقل عموما كلما كانت اللهجة حديثة السن . ولكن العلم يحقق صلة اللهجات الحديثة باللهجات القديمة ، ويبين بالتقريب على الأقل ، كيف تتطور هذه من تلك ؛ فحيث يوجد مثل هذا التطور ، فهناك صلة القرابة ، إلا أنه يمكن أيضا أن تنمحى المشابهة فى الخصائص بين لهجتين . . هـــذا وليس موضوع الكلام هنا الأجناس المنطقية ، بل المجموعات المكونة من اعضاء .

وكل هذه اللغات خلف للغة سامية أصلية درست من قديم الزمان . حقاً لا يجوز للمرء أن يعتبر هـذه اللغة وحدة واحدة لا اختلاف فيها ؛ لأنه إذا استحال فى دائرة ضيقة أن يتكلم شخصان بنفس الطريقة لغة واحدة فإن ذلك يستحيل من باب أولى بالنسبة للمجموعات البشرية الكبيرة التى

لا تتصل ببعضها كثيراً . وبمثل هذا التصور يجب أن نتخيل الشعوب السامية عندما انفصلت عن غيرها من الشعوب الأخرى . فإنه طالما كان الشعب السامى الأول لا يحتل منطقة كبيرة ، فإنه كان يستطيع أن يوفق بين كثير من الخلافات اللغوية الموجودة فيه ، غير أنه يحتمل أن تكون بذور الانشقاق اللغوى المتأخر قد غرست حينذاك أيضاً . فإذا حدث بُعد كبير بسبب الانفصال التدريجى أو المفاجىء لبعض أجزاء الشعب ، فانه لا بدأن تفترق لغاتهم بوضوح عن الأصل تدريجيا ، حتى ينتهى بهم الأمر أخيراً إلى أن تصبح لغاتهم مختلفة ، ومع ذلك فانه يمكن دائماً حتى فى عصور ما قبل التاريخ — أن تؤدى علاقات السلم والحرب مرة ثانية إلى تأثير إحدى اللغتين فى الأخرى تأثيراً يؤدى إلى التوفيق بينهما .

ونرى الآن فى ضوء ماسبق مجملا أن تعبير « اللغة السامية الأولى » جائز مطلقاً . ويمكن استنباط الخصائص المهمة لهذه اللغة — ولو بالتقريب — بالطرق العلمية . لكن لا يجوز المرء أن يطلب الكثير فى هذه الناحية ؛ فإن سير تطور اللغات غامض فى تفاصيله بالنسبة لنا غالباً ، وذلك فى المرحلة السابقة للمرحلة التى وصلتنا منها وثائق لغوية . والاتفاق بين كثير من اللغات السامية فى المسائل النحوية المهمة لا يضمن لنا دائماً قدم هذه المسائل ؛ لأنه كثيراً ما يجرى فى كل لغة منها تغيرات قياسية مستقلة عن الأخرى .

وإننا نريد أن نوجـــه سؤالا لمن يظن أن إعادة البناء الكامل اللغة السامية الأولى ولو بالتقريب أمر ممكن . والسؤال هو : هل يستطيع أحسن

العارفين باللهجات الرومانية كلها أن يعيد بناء الأصل القديم لهذه اللهجات ، وهو اللغة اللاتينية ، لو فرض أنها غير معروفة الآن ؟ هذا إلى أننا نعرف جزءا صغيرا من اللغات السامية تماماً كمعرفتنا باللهجات الرومانية(١) .

أما فيما يختص بالمفردات ، فإنه يحق للمرء القول بأن عددا كبيراً منها نوعا ما — تلك التي توجد في اللغات السامية المختلفة في صورة ملائمة لأصوات كل لغة منها — يرجع في أصله إلى اللغة السامية الأولى . غير أن الضلالة هنا ممكنه أيضاً ، بسبب البناء الاستقلالي للكلمات في كل لغة قياسا ، أو بسبب الاستعارة القديمة جداً(٢) . هذا وتوجد في كل لغة أو في كل مجموعة من اللغات السامية بعض الألفاظ التي لا توجد في غيرها من اللغات السامية الأخرى . ومن المؤكد أن كثيراً من هذه الألفاظ سامي قديم ، غير أنه لم يستعمل — بطريق الصدفة — في قسم من أقسام اللغات السامية ، أو أنه كان مستعملا ، ولكنه لم يصل مع ذلك إلى علمنا . ويمكننا أن نلاحظ — دون شك — كيف تتقهقر كلمات معينة من الكلمات السامية القديمة عن الاستعمال تدريجيا؛ فمثلا يكاد أن يختفي أمام أعيننا اللفظ المشترك للأسد في اللغات

---

(١) من المعروف بالطبع أنه قد ترك الآن تصور إمكانية أن العلم يستطيع أن يكون صورة صادقة نوعاً ما عن الأصل الأول للغات الهند وأوروبية.

(٢) كلما قوى التشابه بين لغتين كلما كان من الصعب جداً معرفة الكلمات التي أعارتها إحدى اللغتين للاخرى .

العبرية والآرامية والعربية ، وهو لفظ « ليث » ليفسح الطريق للفظ آخر . هذا ويمكن كذلك أن يكون الكثير فى المفردات والأصول مستعاراً منذ القدم فى العبرية والآرامية والحبشية . . الخ من لغات أجنبية بادت ولم تترك آثاراً . وأما إلى أى مدى استطاعت كل لغة أن تخلق أصولا جديدة ، فإن ذلك غامض جداً .

أما السؤال : أى اللغات السامية المعروفة يمكن أن تكون أقرب شبها باللغة السامية الأولى؟ فإنه لم يأخذ الأهمية التى تفترض فيه . وليس موضوع الكلام هنا دائما إلا القرب النسبي ، وليس القرب المطلق . فبعد أن ترك منذ مدة الرأى الذى لم ينشأ إلا لباعث دينى ، والذى يقول أن جميع اللغات السامية (أو اللغات كلها عموماً) صادرة أصلا من اللغة العبرية أو الآرامية أيضا(١) — رغب الناس فى الرأى القائل بأن العربية لا تزال أقرب اللغات جدا إلى اللغة السامية الأولى . وإذا تبين الآن أكثر من ذى قبل أن اللغة السنسكريتية لم تكن فى المرتبة التى تؤهلها للاحتفاظ بخصائص اللغة الهندوأوربية الأولى — كما كان يظن منذ زمن قليل — فإنه لا يجوز للمرء أن يعترف للغة العربية فى موضوعنا هذا بأكثر من قرب العلاقة بالسامية

---

(١) كان من الآراء السائدة جدا فى الشرق قديما أن الآرامية أقدم لغات البشر

(٢) قد لعب هذا الرأى دوراً كبيراً على الأخص فى كتاب ألسهوزن Olshausen القيم عن قواعد اللغة العبرية (Braunschweig 1981)

الأولى . حقاً لقد احتفظت العربية أكثر من أخواتها بكثير من الصور الصادقة لعناصر اللغة الأولى . مثل الكمية الأصلية تقريباً من الأصوات الساكنة ، وكذلك الحركات القصيرة فى المقاطع المفتوحة، ولا سيما فى وسط الكلمات ، وأيضا مثل الفروق النحوية الكثيرة التى أفسدت — إن قليلا وإن كثيراً — فى اللغات السامية الأخرى . إلا أنه من جانب آخر نرى أن العربية قد بنت بطريقة القياس البسيط عدداً كبيراً من الصيغ التى تبدو لأول وهلة كأنها صيغ قديمة الأصل لشدة بساطتها ، ولكنها ليست فى الواقع إلا تحويراً للأصل ربما قابله تحوير آخر فى اللغات السامية الأخرى . وإنه ليوجد فى العربية دائما أبدا اضطراد معين ما كان ليوجد فيها هكذا منذ البداية .

واللغة العبرية وكذا الآرامية نفسها أقدم من العربية فى بعض القطع ، وذلك يمكن أن يتضح كثيراً إذا عرفنا العبرية معرفة كاملة ، وعرفنا النطق الأصلى لحركاتها ، وإذا أمكننا أن نعرف كيف كانت تنطق الآرامية فى حوالى سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد . ونعود فنؤكد دائما أننا نعرف العربية معرفة أكمل وأضبط من أخواتها القديمات . وأما ذلك الرأى الصادر عرضا من بعض المشتغلين باللغة الآشورية المتحمسين ، والقائل بأن اللغة الآشورية يمكن اعتبارها « سنسكريتية اللغات السامية »(١) هذا الرأى لم يحظ مرة

---

(١) وذلك على اعتبار أن اللغة السنسكريتية هى أصل اللغات الهندوأوربية

واحدة بتأييد من المشتغلين بالآشوربة أنفسهم ولا يحتاج منا إلى تفنيد من جديد .

ومقارنة قواعد اللغات السامية يجب أن يبدأ حقامن العربية ، على أن يراعى فى التفاصيل كل قريباتها الأخريات ، طالما كن معروفات لنا . وهنا ربما تصلح اللغة العبرية فى إعادة بناء الأم الأولى المشتركة أكثر من الحبشية غير أن اللغة الآرامية والآشورية ، وكذلك اللهجات التى نعرف القليل منها، أو اللهجات الحديثة ، كل ذلك يمكن أن يقدم أيضا مادة قيمة لمثل هذا العمل . أما كيف وصلت تلك اللهجات الحديثة ولا سيما الحية منها إلى شكلها الحالى ؛ فإنه يمكننا معرفة ذلك فى دائرة واسعة نوعا ما . وهكذا نربح بذلك قياسات قيمة لبحث تطور اللغات القديمة .غير أن الفحص الدقيق لتلك اللغات يرغمنا على الاعتراف والحكم بأننا لا يمكننا تفسير كثير من الظواهر المهمة فى تلك اللغات القديمة ،ويصدق بعض ذلك أيضا على حالات يبدو لأول وهلة أن تفسيرها سهل جدا .

وإذا ثبت الآن — كما قد رأينا — اتفاق اللغات السامية فى أصولها الأولى من زمن بعيد — قبل أن يبرهن « بوب » BopP علميا على وجود العلاقة بين اللغات الهندوأوروبية — فإن مسألة عمل قواعد مقارنة دقيقة فى موضوعنا هذا بحيث ينبغى أن تقدم نتائج ثابتة ، هذه المسألة ليست إلا واجباً صعباً ، ولا يجرؤ على ذلك إلا عالم فقيه تماما . وأنا أشك مطلقاً فى

أن الوقت قد حان لمثل ذلك العمل(١) ولكن قبل ذلك يمكن القول بضرورة كثير من الأبحاث المستقلة المتقنة ، هذا ومما يعوق البحث على وجه الخصوص أن نصوص اللغات السامية التى تحت يدنا لا تعبر تعبيراً كافياً عن أصوات تلك اللغات ، وأنا اعتقد أن بحث الجملة المقارن فى اللغات السامية أسهل فى بحث الأصوات والصيغ فيها .

وقد يجسر المرء على أثبات خصائص للعقلية السامية كما فعل كل من «لاسن» lassen فى كتابه Indische Alterthums kunde ح١ ص٤١٤ وما بعدها . وكذا «رينان» Renan فى مقدمة كتابه Histoire des langues Sémitipues(٢) . غير أنه من الخطورة بمكان أن يظن أن الخصائص المهمة لبعض الشعوب السامية التى نعرفها جيدا ، ولاسيما الإسرائيليين والعرب ، تصلح كخصائص عامة لكل الشعوب السامية ، أو أن يعزى إلى دم الشعوب أيضاً مثل هذه الخصائص التى

---

(١) ومع ذلك فيبغى ألا تنكر مزايا الأعمال الآتية : william wright
lectures on the Campârativ Grammer of the Semitic languages (Cambridge 1890. Opus Posthumum).
O.E. lindberg, Vergleichende Gramm. d. semit. Sprachen. 1. Heft (göteborg 1897) Heinr. Zimmern, Vergleich. gramm. d, semit. Sprachen (Berlim 1192)

(٢) قارن فصل Zur Characteristik der Semiten فى كتابى : Orientaliscen Skizzen (Beriln 1892)

لا يعلل وجودها فى الواقع إلا بعلاقات المعيشة وطريقة الحياة ، والتى يمكن أن توجد فى شعب آخر أجنبي إذا كان يحيا نفس الحياة ، ويعيش فى نفس الظروف . وإذا جاز لنا أن نردد القول بأن الساميين كانوا يعانون بحق نقصا فى المواهب فى النواحى العسكرية والسياسية الكبيرة ، فإن الفينيقيين قبل غيرهم — ولاسيما فى قرطاجنة حيث هانيبال وهاملكار — يظهرون لنا أن الساميين يستطيعون أيضاً عند تغير الظروف المحيطة بهم أن يقوموا بأعمال رائعة فى هذه الميادين . وإنه ليس إلا تلاعبا بالألفاظ حين يدعى أن الفينيقيين ليسوا من الساميين الخلص ؛ لأن مصادرنا القليلة نفسها تكفى لإثبات أن الفينيقيين أقرب الأقرباء للعبريين والآراميين القدماء فى أهم مسألة تخص الساميين وهى الدين . هذا ويمكن للمبالغة ان تجد طريقها بسهولة إلى مثل هذه الخصائص ، لكن الشيء الأكثر صعوبة هو إثبات خصائص حقيقية للغات السامية . وإن وصف رينان الجميل الممتع لهذه الخصائص ليس مسلما به مع ذلك فى معظم أجزائه ؛ فقد ذكر فى إحدى هذه الخصائص أنه يعبر فى اللغات السامية عن الحوادث النفسية بصور واضحة جداً ، ولكنه هنا لا يرى أمام عينيه إلا اللغة العبرية بالضرورة ، وحتى فى ذلك أيضاً تتوقف هذه الحالة على درجات التصوير الخاصة للإسرائيليين ، كما أنها فى بعض المواضع ليست إلا خاصية للأسلوب الشعرى ، ويمكن أن توجد بطريقة مماثلة مرة أخرى لدى شعب أجنبي عن الساميين ، أما القول بأن اللغات السامية ظلت زمناً طويلا تتغير — كما يدعى رينان — فسنراه فيما بعد

ولكن إذا كان واضحا أن للغات السامية خصائص نحوية معينة وأهمها غلبة ثلاثى الأصول من الكلمات ، فإنه لا يمكن بسهولة بالنسبة للغة معروفة لنا تماماً أن يشك فيها إذا كانت سامية أم لا ، إلا إذا كانت إحدى اللغات السامية قد تأثرت تأثراً شديداً بلغة أخرى ليست سامية ، ليس فقط فى مفرداتها، بل فى قواعد نحوها أيضاً ؛ مثل اللغة الأمحارية ، فعندئذ يمكن أن يوجد مثل هذا الشك .

وقد أجريت أبحاث مختلفة ، بطريقة علمية فى بعضها ، وغير علمية فى بعضها الآخر ، لمحاولة إثبات وجود القرابة بين اللغات السامية واللغات الهندوأوروبية . حقاً يمكن أن يتصور أن لغتى الشعبين اللذين (باستثناء المصريين والصينيين) حددا وجه البشرية ، واللذين سكنا منذ الأزل متجاورين كما يظهر بينهما التشابه الكبير فى الخصائص الجسمية أيضاً — يمكن أن يتصور أن هاتين اللغتين ليستا إلا خلفا لأصل واحد قديم . ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل تماما . إلا أنه يظل من المرجح بالطبع أن اللغات — ليس فقط السامية والهندوأوروبية بل كذلك لغات المجموعات الإنسانية الأخرى — انحدرت كلها من لغة واحدة عامة . ولكن انفصال هذه اللغات حدث على أى حال منذ القدم ، حتى إن التغيير الذى أصابها فيما قبل التاريخ قد طمس الخصائص المشتركة بينها تماما ؛ ولذا فإن ما يبدو اليوم كأنه بقايا مثل هذه الخصائص لا يطابقها تماما ؛ وإنه لكى يستطيع التحليل العلمى معرفة القرابة الموجودة

بين هذه اللغات التى تباعد بينها الزمن ، فإنه يجب على الأخص العثور على حالات نافعة ومفيدة للبحث (١) .

وعلى العكس من ذلك يظهر فى اللغات السامية فى بعض المسائل اتفاق عجيب مع لغات معينة فى شمالى أفريقيا ، حتى ليضطر المرء إلى الاعتقاد بوجود قرابة شديدة بينهما . وموضوع الكلام هنا تلك المجموعة من اللغات التى تسمى فى عصرنا الحاضر « باللغات الحامية » والتى تتكون من اللغة المصرية القديمة ، والبربرية ، ولغة البجا Bedscha (البشارية وغيرها) وعدد من لغات الحبشة وما جاورها من بلاد (أجاو ، جلا ، دنكلى . . وغيرها) وتؤدى الملاحظة إلى أن بعض الكلمات الضرورية للحياة فى اللغات السامية توجد بشكل ما فى اللغات الحامية كذلك (مثل « ماء » و « فم » وبعض الأعداد) كما نجد أن مثل هذه الكلمات لم تتبع تماماً نظام اللغات السامية فى بناء الكلمات على ثلاثة أصول ، كما تخلصت — إن قليلا وإن كثيراً — من القواعد النحوية العادية . ويضاف إلى ماسبق الاتفاق فى المسائل النحوية المهمة ؛ مثل بناء صيغة المؤنث بإضافة التاء فى أول الكلمة أو آخرها ، وبناء صيغة السببية بزيادة السين ، والمشابهة فى زيادة مقاطع فى الأول والآخر

---

(١) فى المثال التالى يمكن أن يرى كيف يخدع المرء فى بعض الحالات : sechs فى الألمانية تقابل فى العبرية Schêsch تماماً تقريباً ، كما فى السنسكريتية والفارسية الحديثة: schasch , schäsch وتشبه اللاتينى: sex . الخ ولكن الصيغة الأصلية للغات الهندوأوروبية هى تقريباً : Sweks وللغات السامية هى Schidth وليس ذلك الاتفاق إلا محض مصادفة سببه تغييرات صوتية فى كل منهما .

لبناء زمن الفعل ، والمشابهة المطلقة في بناء صيغ الضمائر(١)

ولا شك أنه يوجد إلى جانب ذلك أيضاً كثير من الاختلافات الشديدة بين الفصيلتين ، ولا سيما الفرق الكبير في كمية المفردات . ولا يصدق ذلك فقط على اللغات السامية في مقابل تلك اللغات الحامية التي عرفناها بالتدريج في العصر الحديث ، ولكن أيضاً في مقابل اللغة المصرية القديمة التي نملك منها الآن مستندات يرجع تاريخها إلى القرن الرابع ، بل ربما الخامس قبل الميلاد وهنا لا تزال توجد الألغاز المعماة . ويمكن أن يكون سبب تلك المشابهة — عكس الظاهر — الاستعارة المتبادلة ، فالشعوب البدائية تقترض من الآخرين — وهذا أمر ثابت — عناصر لغوية أيضا ، ما كنا لنصدق أنها تستعار ، مثل : الأعداد ، والضمائر المتصلة . ولكن تفسير الاتفاق الكبير في العناصر النحوية بأنه يرجع إلى الاستعارة من جانب الحاميين أمر غير ممكن ؛ لأن لغة البربر الذين يشتركون في هذا الموضوع ، والذين انبثوا في مناطق كثيرة — قد كونت حتما مميزاتها قبل أي اتصال بالساميين . وفيما عدا ذلك يلاحظ أننا لا نزال تنقصنا الإحاطة التامة باللغات الحامية ، على الرغم من النشاط المتحمس في هذا الميدان العلمي . كما أنه يلاحظ أن انقسام اللغات الحامية أمر لا يزال غير محدد تماماً . وأخيراً يلاحظ على الأخص أن علاقة اللغة المصرية القديمة باللغة البربرية من

---

(١) انظر مقالي في مجلة ZDMG ج ٣٨ ص ٤٢٢ وعلى الأخص مقال Adolf Ermann في نفس المجلة ج ٤٦ ص ٩٣ وما بعدها .

جانب ، وباللغات الحامية الجنوبية من جانب آخر أمر لا يزال يحتاج إلى تحقيق دقيق . أما محاولة عمل مقارنة فى قواعد اللغتين السامية والحامية فلم يحن وقتها بعد(١) .

والقرابة الموجودة بين اللغتين السامية والحامية تدعو إلى الاعتقاد بأن الموطن الأصـــلى للساميين كان فى أفريقيا ؛ لأنه من النادر أن يظن أن الحاميين — الذين يختلط فيهم الشكل الأوروبى بنماذج الزنوج — كان لهم موطن أصلى غير القارة السوداء . وفى الواقع تبدو المشابهة فى تركيب الجسم بين الساميين والحاميين غير معدومة ،إذا أخذ فى الإعتبار سكان جنوبى الجزيرة العربية على الأخص . ونحن نشير هنا إلى أن عضلة الساق فى الأقوام السامية هزيلة ، تماما كما هو الحال فى سكان أفريقيا الأصليين . كما يشترك الشعبان فى مشابهة شعر الرأس للصوف ، وكذلك فى بروز الفكين(٢) . ومع ذلك فإنه يجب أن يؤخذ فى الإعتبار أن كلا من الساميين والحاميين

---

(١) يصلح هذا الحكم من باب أولى بالنسبة لكتاب Benfey المطبوع فى ليبزج سنة ١٨٤٤ بعنوان :

Über das Verhältniss der ägyptichen Sprache zum semitischen Sprachstamm. ومع ذلك فإن هذا الكتاب له قيمته؛ إذ بحثت فيه تلك القرابة بطريقة علمية .

(٢) قارن ص ٤٠ من كتاب :

G. Gerland, Atlas der Ethnographie (Leipzig 1876)

قد اختلطا بشعوب أجنبية اختلاطاً كبيراً ، قلل من أوجه الشبه بينهما .

وبالطبع لم أذكر كل هذا على أنه نظرية ثابتة، ولكن على أنه فرض محتمل.

وقديماً كان الرأى المفضل هو أن الساميين قد وفدوا من أماكن معينة من شعوب أرمينيا، وهذا الرأى مستمد من سفر التكوين الذى يعزو كثيرا من هذه الشعوب إلى « أرفكشاد » Arpachsad (سفر التكوين ٢٢/١٠ — ٢٤ ؛ ١٢/١١) وهو اللقب التاريخى لبلدة Arrapachitis والمسماة اليوم بـ Albak (١) وهى تقع على حدود أرمينيا وكردستان ؛ ويظن المرء أن تلك الجهات كان يسكنها الشعب الأول الذى انحـــدر منه الساميون والهندوأوروبيون أيضا . ولكن إذا كان إدراك هذه القرابة امرا صعباً — كما رأينا فيما سبق — فإن السبب فى ذلك يرجع إلى أنها ليست حديثة السن حتى يمكن للساميين أن يحتفظوا بأية رواية تاريخية تؤيدها . وإن من الخطأ الفاحش أن يعتقد أن شعوبا كبيرة يجب أن تحتفظ مدة طويلة جداً بذكرياتها عن وطنها الأصلى الذى نشأ فيه آباؤها الأولون ! وقد تعود المرء قديماً على الرأى الخيالى القائل بثبات الذاكرة التاريخية للشعوب البدائية ، غير أن مثل هذا الرأى يجب أن ينبذ كلية ؛ فإن الوقت الذى كان فيه العبريون والعرب وغيرهما يكونون شعباً واحداً ، بعيد جداً بحيث لا يمكن لشعب من هذه الشعوب أن يحتفظ برواية تاريخية منه .

---

(١) أعتقد أن هذه المقارنة صحيحة على الرغم من قيام المشاحنات حولها فى العصر الحديث ، ولكن بالطبع لا يطابق الكلمتين الأخيرتين إلا الجزء الأول من كلمة : Arpach - schad

— أما الرأى القائل بانحدار العبريين وأقاربهم الأقربين من « أرفكشاد » فيبدو أن سببه أن المرء يظن أنه يعرف بالقرب من هذا البلد الموضع الذى رست فيه سفينة نوح(١) (سفر التكوين ٨/٤) وهو رأى خيالى تماما . هذا إلى أنه يتعارض تماما مع رأى آخر فى سفر التكوين (١١ / ١) يرجع إلى مصادر أخرى ، وهو رأى يذكر أن كل الشعوب ، ومن بينها الساميون أيضا ، قد انحدروا أصلا من بابل . ولم يثبت حتى الآن ثبوتا علميا الرأى القائل بانحدار الساميين من الشمال .

وعلى العكس من ذلك يرى آخرون مثل « شبرنجر » Sprenger و « شرادر » Schrader(٢) أن الساميين انحدروا من الجزيرة العربية .

ويبدو أن هذا الرأى يتطلب الكثير من القول ، فإننا يمكننا أن نلاحظ منذ القدم كيف نزلت قبائل من الصحراء العربية إلى أرض الحضارة (العراق) وأصبحوا فلاحين تماماً هناك . وتكاد الآثار الباقية فى اللغة

---

(١) وبطريقة مشابهة يستخلص المرء من مكان غامض فى الـ Awestâ نتائج غير مسلم بها عن موطن الايرانيين والهندوأوروبيين الأصلى .

(٢) أولهما فى مواضع عدة من مؤلفاته ، والثانى فى مجلة ZDMG جـ ٢٧ ص ٤١٧ وما بعدها .

تدل على أن العبريين والآراميين كانوا أيضاً فى قديم الزمان من البدو الرحل لمدة طويلة . والجزيرة العربية والجهات الواقعة شمالها (الصحراء السورية والعراقية أيضاً) هى الموطن الأصلى للبدو . هذا إلى أنه توجد فى العرب المميزات الخالصة للساميين ، كما أن لغتهم أقرب دائماً من اللغات الأخرى إلى السامية الأولى ، غير أننا لا نعلق على السبب الأخير أهمية كبرى ؛ لأنه ليس من الضرورى مطلقاً أن تحتفظ لغة ما فى موطنها بشكلها الأصلى أكثر من غيرها ؛ فإن « اللتوانيين » قد احتفظوا بالقديم لكل اللغات الهندوأوروبية الحية ، وهى مع ذلك لا تنحدر بالتأكيد من « لتوانيا » Litthauen وفى جنوب « سردينيا » Sardinien يتكلم المرء الكثير من الرومانية القديمة أكثر من الحال فى « روما » نفسها ، وكذلك لغة سكان « ايسلنده » Isländer الذين يعرف التاريخ قصة مجيئهم إلى جزيرتهم — أكثر أصالة من سائر اللهجات الجرمانية الحية الأخرى . والسؤال الآن عما إذا كان الرأى المعتاد صحيحاً حقاً ، وهو أن الأشياء القديمة الموجودة فى اللهجات العربية الحية يتكلم بها فى الجزيرة العربية . وكذلك لا يمكن التسليم مطلقاً دون قيد أو شرط ، بأن العرب يحتفظون بمميزات الساميين خالصة أكثر من غيرهم ، ولكن الأصح أن يقال إن سكان الصحراء العربية قد انطبعت فيهم بعض الخصائص السامية المهمة ، وأصبحوا أكثر تعصباً لهـا ، تحت تأثير الطبيعة ذات الشكل الواحد ، وأيضاً تحت تأثير الحياة الباقية على توالى

الأجيال . ولكن لا يمكن لكل هذه الأسباب أن تدعى القطع فى المسألة بشىء ؛ غير أننا نميل إلى أنه من الممكن تصور انحدار الشعوب السامية من الجزيرة العربية .

وأخيراً حاول أكبر مستشرق فى عصرنا الحاضر ، وهو « جويدى(١) » Ignazio Guidi أن يبرهن على أن الوطن الأصلى للساميين يقع أسفل الفرات ، وهو يريد أن يثبت أن المفاهيم الجغرافية والنباتية والحيوانية على الأخص — وهى المفاهيم التى عبر عنها فى كل لغة من اللغات السامية بنفس الكلمات المحتفظ بها منذ القدم — هذه المفاهيم لا تشير إلا إلى الظروف الطبيعية لتلك المنطقة . وهو وإن كان قد عالج المسألة برزانة وفطنة ، إلا أننا لا يمكننا مع ذلك أن نتقبل نتائجه بسهولة ؛ إذ توجد بعض المفردات التى تخص الساميين الشماليين والساميين الجنوبيين كثركة مشتركة بينهما ، ومع ذلك فإنها لا يمكن أن تكون قد نشأت فى منطقة الفرات . وإذا كنا — علاوة على هذا — لا نعرف مفردات كثير من اللغات السامية إلا معرفة ناقصة جداً ، وإذا كانت كل لغة قد فقدت على مر الزمن كثيراً من الكلمات الأصلية ، فإنه من المشكوك فيه جداً بناء نتائج على ذلك . وإنه لا يوجد فى اللغات السامية المختلفة كلمات مشتركة لكثير من المفاهيم المهمة التى تدل على أمكنة مثل « جبل » مثلا ، كما أن الكلمات المعتادة لكل من « رجل » و « عجوز »

---

(١) فى كتاب : « Della sede primitiva dei popoel semitici » in den Acten der Academia dei Lincei - Rom 1878 - 79 .

و « صبي » و « خيمة » و « أسود » و « يتحدث » و « يضرب » — هذه الكلمات ليست واحدة في اللغات السامية المختلفة ، مع أنها تدل على مفاهيم لا بد وأنه قد عبر عنها أيضا في اللغة السامية الأولى .

وفي كل ما سبق لا يزال القول غير مؤكد عن موطن الساميين الأصلي ، وكذلك لغتهم(١) .

هذا وليس من السهولة بمكان أن تثبت درجات القرابة الموجودة في كل لغة من اللغات السامية بالنسبة إلى أخواتها . ويمكن للمرء أن يضل بسهولة في الوصول إلى رأى سريع عن طريق جزئيات المعاجم والقواعد ؛ فكل لغة من اللغات السامية القديمة تتفق مع أخرى عرضاً في بعض الخصائص النحوية ، وتفترق عنها فيما عدا ذلك ، كما تفترق عن أخت أخرى قريبة فيما اتفقت فيه مع تلك . هذا إلى أن كل واحدة منها تختص بخصائص لا توجد إلا فيها هي . وهكذا نجد في العبرية — الفينيقية ، والعربية أداة تعريف توضع في الأول (غير أنها لم تكن متفقة في الأصل إذا نظرنا إلى الناحية الصوتية) ، وأما أقرب الأخوات إلى العربية — وهي السبئية — فإنها تعبر عن أداة التعريف بالنون التي تلحق الآخر ، كما أن الآرامية ، التي هي أقرب الأخوات إلى العبرية ، تعبر عن نفس الأداة بالألف الممدودة التي تلحق

---

(١) هذه إحدى حالات كثيرة تقود فيها الطريقة العلمية الحديثة إلى الاعتراف بالجهل في أمور كان يظن سابقاً أنها حقائق ثابتة . ويرجع ذلك على الأخص إلى أن المرء قد عرف أن بعض الروايات كان يتمتع قديماً بسلطة كبيرة ، وأن الجنس البشرى وحضارته أقدم بكثير مما كان يعتقده المرء من قبل .

الآخر ، أما الآشورية فى الشمال والحبشية فى الجنوب ، فلا يوجد بهما أداة للتعريف مطلقاً . هذا ولا يوجد فى العربية والعبرية أى أثر مؤكد لنون التعريف التى تلحق الآخر ، أما السبئية ، والحبشية ، وكذلك الارامية ، فإنها تستخدم هذه النون لتأكيد أسماء الإشارة . وقد وجد نفس هذا الاستعمال فى أحد النقوش الفينيقية(١) . وهكذا فقدت العبرية والعربية ما احتفظت به اللغات القريبة منهما . هذا ، ويؤكد أيضاً ضمير الغائب بالتاء (أو t u) فى كل من الحبشية ، والسبئية ، والفينيقية فقــط (وربما أيضاً فى بعض الأدوات العربية) . والآرامية وحدها هى التى لا يوجد بها أثر مؤكد لبناء الفعل الانعكاسى (المطاوع) بزيادة النون فى أوله(٢) ، كما أن العبرية وحدها لا يوجد بها أثر لبناء فعل السببية بزيادة المقطع scha فى أوله(٣) ويمكننا

---

(١) أكبر نقوش مدينة Byblus (Corpus Inscr,. Semit,. Phoen. Nr.1) وانظر كــذلك كتاب : Mark Lidzbarski, Handbuch der nordsemitischen Epigraphik. Weimar 1898.1. 412. 2, Tab. 3. وسيجد القارىء فى هذا الكتاب المهم ما يبغى تقريباً من النقوش المهمة فى الفينيقية والعبرية والآرامية ، أو بمعنى آخر كل ما سأشير إليه فيما بعد ، بطريق مباشر أو غير مباشر . ولذا فلن أذكر على وجه العموم طبعات أخرى لهذه النقوش ، لا سيما وقد قام Lidzbarski بعمل قائمة لكل المصادر المطلوبة فى هذا الصدد .

(٢) قد استعارت اللهجة الآرامية فى المعلولة (انظرها فيما يلى) هذه الصيغة من العربية الحديثة ، واستعملتها ، كما تستعملها تلك فى المبنى للمجهول .

(٣) الكلمة العبرية schalhebeth « لهب » مستعارة من الآرامية . أما الحالات الأخرى التى يمكن المرء أن يعدها هنا فليست مؤكدة تماما .

أن نلاحظ فى كثير من اللغات السامية كيف ترك بناء الفعل المبنى للمجهول بتغيير حركات الفعل الداخلية (مثل قُتل فى مقابل قتَل) على مر الأيام بالتدريج . وقد بدأ ذلك أول ما بدأ فى العبرية ، كما تم ذلك فى الحبشية أيضا فى صورتها التى نعرفها الآن . أما فى الآرامية فلم يتم ذلك نهائيا ، وفى كثير من اللهجات العربية الحديثة ، قد تركت كذلك هذه الصيغة كلية أو على وجه التقريب . هذا وقد حدث فيما بعدهنا وهناك اتفاقات صوتية ، فأصبح الجمع المذكر فى العبرية ينتهى عادة بالنهاية « im » ، وفى الآرامية بالنهاية « in » كما فى العربية . ولكن من الراجح جداً أن الجمع فى الآرامية كان ينتهى أصلا بالميم ، فى حين أن الصيغ العربية القديمة كانت تنتهى بعد النون بفتحة « a » أو فى الأصل بفتحة طويلة « â » (ina , ûna) . وفى هذه الحالة (بين حركتين) يكون من غير المحتمل انقلاب الميم إلى نون . وهكذا نجد أن نهايات الجمع المتفقة كانت فى الأصل مختلفة(١)

ويجب أن تعالج الاتفاقات المعجمية بحذر شديد كذلك ؛ فإن الأحباش والعبريين يعبرون بنفس الكلمات عن أشياء ومفاهيم مختلفة تعبر عنها اللغات السامية الأخرى بكلمات جديدة مثل : حجر ، شجرة ، عدو ، يدخل ، يخرج . وتوجد علاقة مشابهة لهذه العلاقة بين العبرية والسبئية ، ولكن قد يكون من الخطأ الكبير استخلاص نتائج هامة من ذلك ؛ لأن تلك الكلمات إما أن توجد أيضا فى لغة أو أكثر من اللغات القريبة فى معان اشتقاقية ، أو توجد

---

(١) يظن أن العربية قد نقلت نهاية الفعل إلى الإسم ، أو أن نهاية الاسم قد تأثرت بنهاية الفعل .

فى نص من النصوص القديمة فى نفس المعنى تماما . هذا ومن المم... ـنا أن تـكون الحياة المستقرة للأحباش والسبئيين قـد ساعدت على الاحتف باتفاقات معينة مع الشعوب السامية المتحضرة فى الشمال فى المفردات اللغوية ، تلك الاتفاقات التى لم يحتفظ بها البدو من العرب . وكذلك يتبين لنا كيف أن السبئيين أقرب إلى الساميين الشماليين فى الدين أكثر من عرب وسط الجزيرة . غير أن ذلك لا يترتب عليه أدنى شيء بالنسبة للقرابة اللغوية الشديدة أصلا .

حقا لا يمكن أن يشك فى أن هناك قرابة شديدة بين اللغة العربية (مع السبئية) والحبشية ، وأنهما يكونان مجموعة مستقلة فى مقابل اللغات السامية الشمالية . ويوجد فى تلك المجموعة الجنوبية وحدها وبطريقة متفقة نوعا ما ، التجديد الجوهرى لصيغة جمع التكسير (١) . وتتفق هذه المجموعة فيما عدا ذلك فى صوغ واستعمال صيغ الأفعال بزيادة فتحة طويلة « â » بين فاء الكلمة وعينها (مثل قاتل وتقاتل) ؛ وكذلك فى تعميم (أو الاحتفاظ) بالفتحة « a » قبل لام الكلمة فى كل صيغ الماضى المبنى للمعلوم ، وذلك فى مثل : qattala , (h)aqtala بدلا من qattil . haqtil فى اللغات الشمالية كما تتفق هـذه المجموعة أيضا فى كثير من الظواهر النحوية الأخرى . ولا يتعارض مع ذلك أن الأصوات الأسنانية الرخوة ، أو بالأحرى تلك التى تتطلب إخراج اللسان (ث ، ذ ، ظ) فى العربية تختلف عنها فى الحبشية والعبرية والآشورية ؛ إذ هى فى هذه اللغات الأخيرة أصوات صفير خالصة

---

(١) هذا الجمع أصلا عبارة عن استعمال صيغ أسماء المعانى Abstractformen كاسم جمع Collectiva أولا ، ثم كجمع ثانياً .

[عبرى - آشورى ش] ز ، ص) . وهى فى معظم اللهجات الارامية على العكس من ذلك — أصوات أسنانية بسيطة (ت ، د ، ط) تبدو مشابهة للأصوات العربية . وأصـــل المسألة هنا أن اللغات السامية — بعد انقسامها إلى قسمين شمالى وجنوبى — كانت لا تزال تحتفظ أيضاً بكل هذه الأصوات ، كما فى العربية ، ولكن معظمها سهل فيما بعد من ناحية أو من أخرى . وبهذا نتجت أحياناً اتفاقات بطريق المصادفة مرة أخرى . وقد تطورت كل من الثاء والذال فى كثير من اللهجات العربية الحديثة كما فى الآرامية إلى تاء ودال(١) . وفيما عدا ذلك احتفظت اللغة الحبشية بصوت الضاد (الخاص بالعربية على الأقل) منفصلا عن صوت الصاد. أما الآرامية فقد خلطته بصوت الحلق « العين » (بصوت القاف فى اللهجة الدارجة) . وأما العبرية والآشورية ، فقد اختلط فيهما بصوت الصاد (٢) . وهكذا يرى المرء مرة أخرى أن كل هذه اللغات قد وجد فيها هذا الصوت قديما كصوت مستقل . ويوجد فى العبرية والفينيقية والآرامية القديمة إلى جانب السين والشين سين ثانية ، ولا بد أنها كانت فى الأصل قريبة جداً من صوت الشين ، لأنه قد عبر عنها بنفس رمز الشين فى الكتابة، غير أنها قد تطورت فيما بعد إلى صوت السين العادية ، وانقلبت فى الآشورية شينا . أما العربية

(١) وفى بعض الأمثلة تطورتا أيضاً إلى سين وزاى ، ولكن ذلك لم يحصل إلا فى الكلمات التى لا تعد حقيقة من اللغة الشعبية ؛ فالسين والزاى محاولة للتعبير إلى حد ما عن صوتى اللغة الأدبية الرخوين : الثاء والذال ، اللذين لا ينطقان فى اللغة الدارجة .

(٢) فى الأصل : « بصوت العين » وهو سهو من المؤلف [المترجم]

والحبشية ، فلا يوجد فيهما إلا السين (تقابل السين والشين العبريتين) والشين (تقابل السين الثانية فى العبرية) . ولكن السبئية لا تزال تحتفظ بأصوات الصفير الثلاثة(١).

وهكذا يمكننا أن نفرق بين اللغات السامية الشمالية ، واللغات السامية الجنوبية . ولكن إذا وجدت ظواهر نحوية مهمة فى الواقع ، اتفقت فيها اللغات الجنوبية مع اللغات الشمالية ، أو بالعكس ، ولم يمكن اعتبار هذه الظواهر بقايا للغة السامية المشتركة القديمة ، كما لم يمكن اعتبارها تطوراً مستقلا فى كل منهما — فيمكن للمرء حينئذ أن يرى فيها (طبقا لما سبق فى ص ١١) تركة سببتها اتصالات خاصة فى العصور السحيقة التى لا نعلم عنها شيئاً ، ثم انقطعت بعد ذلك . هذا ويمكن أيضاً أن تكون هناك وسائط بين الفرعين قد فقدت فيما بعد . ويمكن أن تكون هذه لهجات تكلمت بها قبائل كانت تتصل عن قرب طوراً بفلاحى الشمال وطوراً آخر ببدو الجنوب . ومع ذلك ، فليس هذا كله إلا مجرد فرض فى حين أن التقسيم إلى لغة سامية جنوبية ، وأخرى شمالية حقيقة واقعة .

---

(١) ليس من المؤكد تماما ، ما إذا كانت كل اللغات السامية قد وجد فيها قديماً صوتا الحلق : الغين والخاء من نفس مخرجيهما كما فى العربية . أما بالنسبة لصوت الخاء (الذى تتفق فيه الحبشية مع العربية) فإن ذلك محتمل حقاً ؛ لأن الخاء الجنوبية يقابلها فى الآشورية صوت من أصوات الحلق ، وأما الحاء فلا يقابلها شىء ، غير أن هذه القاعدة لا تنطبق على بعض الأمثلة . وعلى كل حال ، فقد كان التقسيم إلى « عين » و « غين » و « حاء » و « خاء » فى العبرية والآرامية غيره فى العربية . وربما لم تنتج كل من الغين والخاء فى العربية فى بعض الأمثلة إلا بتأثير مجاورة صوت « راء » أو « لام » لصوتى العين والحاء .

ونحن لا نستطيع أن ننكر احتمال وجود لغات سامية أخرى قديمة ب عن اللغات السامية المعروفة لنا ولكننا لا نملك أمراً مؤكداً يدل على وجود هذه اللغات ، كما أننا لا نملك كذلك دليلا على اتساع منطقة اللغة السامية حينذاك كثيراً عن حدودها الحالية . وقد تحدث الناس قديماً باللغات السامية فى آسيا الصغرى كثيراً ، بل فى أوربا نفسها، غير أنها لم تكسب هناك أرضاً ثابتة ، بصرف النظر عن مستعمرات الفينيقيين بالطبع . وعلى الرغم من أن الصقليين كانوا منذ القدم على صلة وثيقة بالسوريين والفينيقيين، إلا أنه كان من المشكوك فيه عندى لوقت طويل أنهم كانوا يتحدثون باللغات السامية . وقد أدت الاكتشافات الخطية فى العصر الحديث إلى رفض هذا الرأى رفضاً تاماً .

العبرية

وتتكون المجموعة الشمالية للغات السامية من العبرية — الفينيقية ، والآرامية ، الآشورية ، إذا لم تعد هذه الأخيرة مجموعة مستقلة فى مقابل اللغات الشمالية الأخرى ، أو فى مقابل اللغات السامية كلها . والعبرية والفينيقية ليستا إلا لهجتين للغة واحدة ، ونحن لا نعرف اللغة العبرية عن قرب إلا على أنها لغة شعب إسرائيل . هذا ، ولأن « كتاب العهد القديم » قد أدرج تحت اللقب التاريخى للشعب العبرى (عبر) بعض الشعوب الأخرى المجاورة أيضاً ، وبمعنى آخر حين عرفت قرابتهم الشديدة للشعب العبرى ، ترجح الظن بأن هذه الشعوب كانت تتكلم فى نفس الوقت اللغة العبرية ، وقد تأيد هذا الظن كلية — على الأقل بالنسبة للمؤابيين — باكتشاف

النقش الكبير للملك « ميشع » (بعد سنة ٩٠٠ ق . م بقليل) . ولا تختلف لغة هذا النقش كثيراً عن لغة العهد القديم والشذوذ الوحيد المهم فى هذا النقش هو وجود البناء الانعكاسى المعتاد ، والموجود فيما عدا ذلك فى اللغة العربية أيضاً (بزيادة التاء بعد فاء الفعل) كما يلاحظ بالإضافة إلى ما سبق أن أسلوب هذا النقش هو فى مجمله أسلوب العهد القديم ، ولذا فمن المؤكد أن المؤابيين كان لهم تاريخ أدبى مماثل . غير أنه لا يصح أن نضرب صفحاً عن أن النقوش السامية القديمة لا تظهر إلا الهيكل العظمى للغة إلى حدما ؛ لأن هذه النقوش لا تشير مطلقاً إلى الحركات ، أو تشير إليها فى حالات معينة فقط ، كما تهمل رموزا صوتية أخرى ، مثل تضعيف الأصوات الساكنة . الخ ، وحتى النبر تهمله تلك النقوش كذلك ، ولذا فمن الممكن جدا أن تكون اللغة فى فم المؤابيين ، كانت تختلف نوعا ما من الناحية الصوتية عنها فى فم اليهود .

وإننا نعرف الآن بعض اللغة العبرية من آثار ، تعد أقدم بكثير من نقش « ميشع » التذكارى ؛ فإن السجلات التى ترجع إلى ألفى سنة قبل الميلاد ، والتى وجدت بعصرنا فى « تل العمارنة » مكتوبة باللغة الآشورية — هذه السجلات بينها كثير من خطابات الأمراء الصغار لفلسطين ، وبها اكتشفت بعض العبارات باللغة العبرية (١) وبالرغم من ضآلة المادة اللغوية الموجودة بها ، إلا أنها مهمة من وجهة النظر اللغوية

---

(١) انظر مقال Zimmern فى : Ztschr. d. Deutschen Palästina Vereins جـ ١٣ ص ١٤٦ وما بعدها ، وكذلك فى : Ztschr. f. Assyriol. جـ ٦ ص ١٥٤ وما بعدها

التاريخية . وفى يقيننا أن البلاد كانت قبل أن يفتحها الاسرائيليون ، تتكلم لهجة مماثلة للهجتهم ، أو قريبة الشبه بها جدا ، وقد يكون سابقا لميعاده أن نستخلص من ذلك نتائج أخرى .

وفيما عدا ذلك نعتمد اعتماداً كاملا فى معرفة اللغة العبرية القديمة على آثار الاسرائيليين . وإذا كان من المشكوك فيه — بعد نتائج الدراسات الحديثة — أن موسى قد كتب قطعة متكاملة من التوراة ، أو أنها كتبت فى عصره أو فى العصر التالى لعصره ؛ فإن قطعا معينة من العهد القديم ترجع على أى حال إلى ألفى سنة قبل الميلاد ؛ ومنها قبل كل شىء « قصيدة دبورة » (سفر القضاة ، الاصحاح الخامس) ، وهى سند ، على الرغم من كل ما فيه من غموض فى التفاصيل ، فإنه يلقى ضوءاً كبيراً على أحوال الاسرائيليين فى ذلك الوقت ، الذى كانوا لا يزالون يتقاتلون فيه مع الكنعانيين فى سبيل الحصول على وطنهم . هذا وترجع أصول تاريخنا الأدبى فى هذه المسألة على الأرجح إلى ما قبل عصر الملوك أيضاً . ومن أوائل عصر الملوك جاءتنا أشياء مختلفة ، غير أن المادة المهمة للأدب العبرى الذى حصلنا عليه جاءتنا من العصر المتأخر للملوك ؛ ففى ذلك العصر نسقت المواد القديمة مع المواد الحديثة فى عمل جديد . كما يرجع إلى ذلك العصر أيضاً ما عثرنا عليه من نقش جميل فى فوهة قنال « السلوان » بالقرب من أورشليم ، وكذلك بعض

الأختام والأحجار الكريمة التى تحمل أسماء الاسرائيليين(١) . وهكذا نجد أن اللغة العبرية معروفة لنا منذ عصورها السحيقة جداً . ولكننا مع — الأسف — بعيدون جداً عن معرفة صفات أصواتها الحقيقية فى أيام «داود» أو «أشعياء» ؛ لأنه وإن كانت المدارس اليهودية المتأخرة قدقامت بجهد مشكور فى ضبط نطق النصوص المقدسة ضبطاً تاما ، بوضع رموز للحركات وغيرها إلا ، أن هذه المدارس لم تستطيع فى أحسن الأحوال ، إلا أثبات نطق العصور المتأخرة للغة العبرية ، لا العصور القديمة جـداً . هذا إلى أنها لم تقصد مطلقاً إلى التعبير عن اللغة البسيطة فى حد ذاتها ، ولكنها قصدت إلى بيان الطريقة ، التى ينبغى على المرء أن يقرأ بها عند تلاوة الصلوات المرتلة . وعلى هذا فن الممكن أن تكون حالة الأصوات فى القديم تختلف نوعاً ما عن حالة الأصوات كما أظهرها الإعجام Punktation الذى وضعته هذه المدارس . وأحيانا تشير العادات الخطية فى النصوص القديمة إلى مثل هذه الاختلافات(٢) وأحيانا أخرى تتعارض طريقة الكتابة تعارضاً مباشراً مع الاعجام (٣)

---

(١) نشرها كل من Grafen de Vogué و M.A. Levy و Clermont Genneau و Wright وغيرهم . ولا يزال يظهر بطريق المصادفة آثار جديدة من هذا النوع دائماً .

(٢) وهكذا يمكن أن يستنتج من وضع الحركات الحرفية (الواو والياء) أو تركها ، استنتاجا مؤكدا نوعاً ما ، أنه فى العصور القديمة لم تمد الحركتان المنبورتان o و e . وعلى العكس من ذلك كان القدماء ينطقون الأصوات المتأخرة o و e أصواتا مركبة : au و ai .

(٣) فأول كلمة فى الكتاب المقدس تحتوى على ألف نعرف اصلها الاشتقاق كما انها كانت منطوقة فى يوم ما ، ولكنها اهملت فى النطق المترتب على الاعجام.

وفى بعض الحالات يمكن أن يساعدنا قليلا التراث القديم ، الذى وضعت فيه الكلمات العبرية والأعلام ، فى قالب من الحروف الإغريقية ، وعلى الأخص فى ترجمة الاسكندرية للكتاب المقدس (المسماة بالترجمة السبعينية) . ومن المهم على وجه الخصوص أن هذا التراث القديم غالباً ما يظهر لنا الفتحة الأصلية ، التى تحولت فى الإعجام إلى « i » أو «e» . وقد تناولت هذه الأشياء ببعض التفصيل لأعارض الضلالة التى تقوم من آن لآخر ذاكرة أن النص المعتاد للكتاب المقدس ، قد عبر بوضوح على وجه العموم ، عن النطق الحقيقى للغة العبرية القديمة ، فى حين — وأنا أكرر ذلك مرة أخرى - أنه لا يحتوى إلا على تمثيل التطور الحديث للغة العبرية ، تمثيلا بالغ الدقة عظيم القيمة حقاً . وكان ذلك فى الحقيقة لخدمة التلاوة الصحيحة للصلوات فى الاحتفالات .

وتعطينا القصة المعروفة فى سفر القضاة ١٢ / ٦ والتى تشير إلى أن قبيلة «أفرايم» كانت تنطق الشين sch سينا s — هذه القصة تعطينا أثراً واضحاً للاختلاف فى اللهجات التى كانت موجودة فى وسط الشعب الإسرائيلى .

وكان زوال دولة اليهود ضربة قاصمة للغة العبرية ، ولكن المرء يبعد مع ذلك كثيرا إذا ظن أن تلك اللغة قد اختفت كلية من الاستعمال فى الحياة اليومية أثناء فترة السبى البابلى ، وأنها منذ تلك الفترة استمرت لغة للعلماء فقط ، وأن كل اليهود اتخذوا اللغة الآرامية حينئذ لغة حقيقية لهم ؛ ففى الشرق تستمسك الجماعات الصغيرة غالباً بلغتها الأصلية بصلابة ، فى وسط الأجانب الذين يتكلمون لغات أخرى ، ولا سيما إذا كانت تلك الجماعات جماعات دينية . وكذلك فعل اليهود فى بابل . وإن صيحات الأنبياء الرائعة فى نهاية

خبرة السبي البابلي (سفر اشعيا ١٣ : ٢١ / ١ — ١٠ ؛ ٤٠ — ٦٦) ما كانت لتحدث أثرها حقاً، لو أنها جلجلت بلغة ميتة، وحتى في عصر «عزرا» أيضاً، يجوز لنا أن نعتبر اللغة العبرية لغة حقيقية للشعب الجديد. وقد شكى «نحميا» (١٣ / ٢٤) من أن أطفال اليهود، الذين أنجبتهم نساء من «أشدود» أو «مؤاب» أو «عمون»... الخ يتكلمون، ونصف كلامهم «يهودي» والنصف الآخر «أشدودي» أو غيره، أي بلغة أمهاتهم. ولن يقبل إنسان القول بأن «نحميا» قد استشاط غضبا لأن أطفال اليهود ينبغي أن يتكلموا بلهجة آرامية خالصة، وإنما لكي يتكلموا بالعبرية، التي بلغت حينذاك درجة ما من التطور، والتي تمثلها جيداً أسفار شكر نحميا على الأخص وكان المؤابيون والعمونيون لا يزالون يتكلمون في ذلك العهد لغتهم القريبة جداً من العبرية. وكذلك يغلب على الظن أن سكان البلد الفلسطيني «أشدود» كانوا يتكلمون حينئذ لهجة شبيهة بلهجة اليهود؛ لأن أحد سكان البلد الفلسطيني المجاور لأشدود «اشكلون» قد أمر بعد هذا العصر بحوالي مائة عام أن يعمل له في أثينا نقش بالفينيقية (١).

وبعد عصر الاسكندر الأكبر انتقل عدد كبير من الشعب اليهودي إلى الاسكندرية وغيرها من بلاد العرب، واندمجوا سريعاً في الهلينيين. وفي أثناء ذلك الوقت أخذت اللغة الرئيسية لسوريا وما جاورها من البلاد،

---

(١) ليست هذه الحجة ملزمة في الواقع — وما كنت قد استنتجته، في الطبعة الأولى، من إحدى العملات المكتوبة بالعبرية، والتي كنت قد ظننتها من أشدود، ثبت بعد ذلك بقليل خطؤه.

وهى الآرامية التى كان لها بعض التأثير الملحوظ فى نصوص ما قبل السبى البابلى — أخذت هذه اللغة تنتشر أيضاً على ما يرجح بين اليهود شيئاً فشيئاً . وهكذا أصبحت اللغة العبرية بالتدريج لغة الدين والمدرسة ، بعد أن كانت لغة الشعب ، فنجد أن سفر دانيال المكتوب سنة ١٦٧ أو ١٦٦ قبل الميلاد يبدأ بلغة عبرية ، ثم ينتقل فجأة إلى الآرامية ، ثم يعود فينتهى بالعبرية . وكذلك أخذ مؤلف سفر « عزرا » (أو فى الحقيقة سفر أخبار الأيام ، الذى يكون سفر عزرا ونحميا الجزء الأخير منه) أجزاء من عمل آرامى ، مع الاحتفاظ بهذه اللغة فى كثير من الأحيان . وإننا لا نكاد نجد سبباً لكتابة أعمال يهودية خالصة — وعلى الأخص من أجل أورشليم — باللغة الآرامية ، إذا لم تكن هذه اللغة هى اللغة السائدة فى ذلك الحين ، وكان استعمال اللغة « المقدسة » القديمة حينذاك لا يزال — حتى بعد موتها — طيعا فى يد اليهودى الغيور على دينه . أما كتب « استير » و « الجامعة سليمان » وبعض « مزاميرداود » فهى مكتوبة فى الحقيقة باللغة العبرية ؛ غير أنه يظهر فيها أيضاً ذلك التأثر باستعمالات اللغة الارامية ، حتى إن المرء ليرى منها أن مؤلفيها يتكلمون عادة باللغة الآرامية . حقاً كان كثير من اليهود لا يزالون قادرين على الكتابة والتكلم باللغة العبرية . ولذلك نجد كتاب Sirach (ابن سيرة) المدون عام ٢٠٠ قبل الميلاد ، مكتوبا بلغة عبرية خالصة جداً على وجه التقريب ، كما يظهر ذلك من الأجزاء الكبيرة التى عثر عليها من نسخته الأصلية منذ وقت قصير . غير أننا يمكن أن نقول بنوع من التأكيد ، أن العبرية كلغة للشعب ، قد ماتت على ألسنة اليهود فى عصر المكابيين ، كما أننا لا نملك أى أثر يدل على أنها ظلت لغة حية مدة طويلة لدى شعب من الشعوب المجاورة الصغيرة .

ولكن « المدرسة » قد لعبت دوراً كبيراً فى آخر أيام أورشليم ، ولا سيما بعد تخريبها على يد « تيتوس » إذ بسببها واصلت اللغة العبرية الحياة لمدة طويلة . وقد كان « العلماء » يتحدثون فى محاضراتهم ومجادلاتهم باللغة العبرية . وعندنا آثار كثيرة للعبرية الجديدة فى « المشنا » وغيرها من الأعمال ، علاوة على القطع المنثورة فى خلال « التلمود » كله . ولكن كما أن السنسكريتية « الكلاسيكية » التى يتكلمها ويكتبها البراهمة Brahmanen منذ حوالى ٢٥٠٠ سنة — تختلف فى قطع جوهرية منها ، عن اللغة التى كانت لغة الشعب حقا فى يوم ما ؛ فكذلك تنحرف أيضا تلك اللغة « لغة العلماء » عن « لغة الكتب المقدس » كثيرا ، وكان الربانيون يعرفون هذا الفرق تماما . وتأخذ « لغة العلماء » معظم مفرداتها من اللغة الحية ، وهى الآرامية (١) . كما تؤثر تلك اللغة كذلك على الصيغ النحوية والإعراب تأثيرا شديدا . أما خصائص أسلوب هذه الآثار ، التى تعالج أشياء قانونية — طقسية بدقة بالغة فى اختصار عجيب ، فقد أثرت كذلك على القواعد النحوية . ولكن بقدر ما أخذت هذه اللغة أيضا من المحصول الأجنبى ، وبقدر ما هى مصنوعة ، إلا أنها احتوت مع ذلك على عدد لا بأس به من العناصر العبرية الحقيقية ، التى تصادف عدم وجودها فى العهد القديم . وإذا كان أقرب الفروض بالنسبة لكلمة فى المشنا ، تعتبر أجنبية عن العهد القديم ، أنها مستعارة من

---

(١) إنه من الصفات المميزة أن يعبر عن « أبى » و « أمى » بصيغ آرامية ، فإنه حتى العلماء ، لا يريدون أن يسموا الأب والأم بتسمية اخرى ، غير التى تعلموها فى صغرهم .

اللغة الآرامية ؛ فإن هناك بعض كلمات من هذا النوع ، يدل وضع الأصوات الساكنة فيها على أنها عبرية أصيلة . كما نجد فى هذه اللغة أيضاً ظواهر نحوية ، لاتعتبر فى الواقع ، إلا تطورا عبريا أصيلا ، على الرغم من أنها تبدو غريبة عن العبرية القديمة .

وقد كتب اليهود ، منذ بدء العصور الوسطى حتى اليوم ، مالا يحصى باللغة العبرية كذلك ، تارة بلغة تشبه لغة العهد القديم شبها قويا ، وتارة بلغة تشبه لغة المشنا ، وطوراً ثالثاً بخلط شديد قوى لصيغ اللغة الآرامية ، وأخيرا بتقليد لطريقة اللغة العربية كذلك . ولم تلق ملاحظة هذا التغير والتحول من العلماء والباحثين إلا اهتماما ضئيلا ، لأن موضوع الكلام هنا ، لم يكن إلا التقليد الفنى المتوقف على مهارة المقلد الكبيرة أو الضئيلة . وكل اللغة العبرية المتأخرة ينظر إليها كما ينظر إلى لاتينية العصور الوسطى ولاتينية العصر الحديث .

وقد كتب إخوة اليهود المعادين لهم ، وهم السامريون ، اشياء مختلفة باللغة العبرية فى العصور الوسطى كذلك ، ولكنها — بالطبع — تلك العبرية الغريبة النادرة

وما تمتاز به اللغة العبرية القديمة فى كثير من القطع ، قديم جدا ، ولا سيما فى بناء الجملة ، فالجمل المستقلة تغلب فى كثرتها الجمل المتعلقة بغيرها فى العبرية ، أكثر من أى لغة سامية أدبية أخرى معروفة لنا تماماً . فالجمل تذكر — على ما يفضل — وراء بعضها غير مرتبطة إلا «بالواو» . أما الجمل الفرعية والتحديدات الظرفية ، ولا سيما الزمنية منها ، فإنها لا ترتبط على

الأفضل إلا بـ « وكان » « وسيكون » ثم ترتبط الجمل الأصلية بعد ذلك « بالواو » لا غير(١) . وإنه ليبقى من المشكوك فيه غالباً بالنسبة لنا ، معرفة أين تبدأ جملة الجواب حسب المعنى . ويوجد بالإضافة إلى ذلك ، نقص شديد فى الأدوات التى يمكن أن تعبر بوضوح عن الربط الدقيق للأفكار . أما استعمال أزمنة الفعل ، فيخضع كثيراً للخيال ، الذى يرى أحيانا الحدث الذى لم ينته بعد كأنه انتهى ، وبالعكس . وأما المقاطع ، أو التصريفات الخاصة التى تحور القول تحويراً بسيطا ، فإنها لا توجد إلا نادراً . وربما كان النطق القديم يفرق بوضوح بين حالات معينة لإعراب الفعل ، أكثر من الاعجام الموجود الآن . ولكن اللغة كانت على كل حال مناسبة للقصص البسيط والشعر ، أكثر منها للتعبير الدقيق عن التصور المنطقى ، أو حتى لبحث الأمور المجردة . ولكن المرء يجب أن يتذكر أن مثل هذه الأمور لم تعرض للغة طول مدة حياتها . ولو أن القدر ساعد اللغة العبرية على أن تحيا حياة أطول ، لتعلمت كذلك أن تكون أداة صالحة للتعبير عن المعانى المجردة والآراء

---

(١) مثال ذلك : « وكان لما انتهى من تقديم القربان وصرف الشعب » القضاة ٣ / ١٨ (= ولما انتهى من تقديم القربان صرف الشعب) ؛ «وكان لما شاخ اسحق وكلت عيناه عن النظر ، ودعا ابنه عيسو » التكوين ٢٧ / ١ ؛ « وكان عند دخولها ، وغرته » القضاة ١ / ١٤ ؛ « وكان فى المساء ، وأخذ ابنته ليئة » التكوين ٢٩/٢٣ ؛ « وسيكون إذا كان المذنب مستحق الضرب ، ويطرحه القاضى ويضربه » التثنية ٢٥ / ٢ ؛ « وسيكون فى ذلك اليوم ، وأنى سأكسر . » هوشع ١ / ٥ . ومثل ذلك لاحصر له

الفلسفية . والكتاب الوحيد الذى قصد ، من بين كتب العهد القديم ، إلى معالجة موضوع من الموضوعات المجردة ، بالنثر الخالص ، وهو كتاب « الجامعة » إنما كتب عندما كانت العبرية تحتضر ، أو كانت قد ماتت بالفعل . ويرجع السبب فى أن المؤلف الذكى ، لم يكن يفلح دائما فى التعبير عن رأيه بوضوح ، إلى أن هذه اللغة لم تكن متعودة على أى تصوير علمى مماثل لتفكيره . أما فى الصيغ النحوية فقد خسرت اللغة العبرية أشياء مختلفة منها ، لا تزال اللغة العربية تحتفظ بها ؛ ولكن بعض هذه الثروة الكبيرة من الصيغ الموجودة فى العربية ، ليس إلا من كسب العربية وحدها .

ونحن لا نعرف مفردات اللغة العبرية — كما سبق — إلا معرفة ناقصة ؛ فكتاب العهد القديم ليس كتاباً محيطاً بمفردات اللغة ، هذا إلى أنه يحتوى على كثير من التكرار ، وكثير من الفصول التى لا تمد المعجم اللغوى إلا بقدر ضئيل جداً من المفردات . وعلى العكس من ذلك فإن بعض الكتب ولا سيما الشعرية منها ، مثل « أيوب » غنية جداً بالمفردات(١) . هذا وإن كثيراً من المفردات التى لم تستعمل إلا مرة واحدة بطريق المصادفة ، لدليل على أنه كان يوجد كثير من الكلمات ، التى لم يوجد ما يدعو إلى ذكرها فى العهد القديم . ولو أننا عرفنا كل مفردات اللغة العبرية التى كانت موجودة حتى عصر « ارميا » ، إذاً لكان يتضح لنا حالتها فى مقابل اللغات الأخرى

---

(١) نقش السلوان (انظر ص ٣٤) يعطينا كلمة جديدة ، وأجزاء (ابن سيرة) تعطينا الكثير من الكلمات .

القريبة ، ولفهمنا العهد القديم ، أحسن من فهمنا الحالى له ، ولأمكننا أن نكتشف بسهولة كبيرة الفساد الكثير ، في النص الموجود بين أيدينا

الفينيقية

ونحن لا نعرف أخت اللغة العبرية ، وهى الفينيقية (الكنعانية) معرفة صحيحة إلا عن طريق النقوش ، التى يمكن أن يرجع بعضها القليل جداً إلى سنة ٨٠٠ قبل الميلاد ، إن لم يكن إلى مابعدذلك ، فى حين أن القدر الكبير منها يبدأ مع مطالع القرن الخامس قبل الميلاد . وقد وصلتنا بعض هذه النقوش (١) من الفينيقيين الذين كانوا فى الوطن الأم والبلاد المجاورة (قبرص ، مصر ، اليونان) كما وصلنا البعض الآخر منهم فى أفريقيا ، وعلى الأخص فى « قرطاجنة » . ولكن معرفة لغة ما من النقوش لن تكون معرفة كافية تماماً ؛ لأن دائرة الحديث لن تكون كبيرة ، ولذا فإن كثيرا من الصيغ النحوية المهمة ، والمفردات المعتادة فى الحياة ، لن توجد بالطبع فيها ، وبالإضافة إلى ذلك فإنه غالبا مايصعب جدا فهم الأسلوب الخاص بالكتابة على الحجر ؛ فتكرار الإرتباطات الغامضة بين الكلمات فى نقوش متعددة بنفس الأسلوب لا يسهل فهمها . وماذا يفيدنا مثلا أن يبدأ ألف نقش من نقوش قرطاجنة بالاهداء إلى إلهين معينين لانعرفهما ؟ هذا وتزداد صعوبة الفهم بسبب أنهم

---

(١) مواد هذه النقوش المبعثرة جمعت فى Pariser Corpus Inscriptionum Ssmiticarum.

لا يفصل بين الكلمات المفردة إلا فى النادر جداً ، وبسبب الاقتصاد الزائد فى وضع حروف الحركات ؛ ولذلك فنحن لانواجه إلا بمجموعات من الحروف التى تحمل فى الغالب جداً ، الكثير من المعانى . وبالرغم من كل ذلك فقد خطت معرفة اللغة الفينيقية فى العصر الحديث خطوات سارة جدا . وقد يساعدنا قليلا أن مؤلفى الأغريق واللاتين (الرومان) قد ذكروا فى مؤلفاتهم عددا كبيرا من أسماء الأعلام الفينيقية ، وبعض الكلمات الفينيقية أيضاً . ونذكر على الأخص ، بلوت ، Plautus فى تمثيلة (Poenulus) الذى قدم فصولا كاملة باللغة البونية ، مصحوبة فى بعضها بالترجمة اللاتينية . ولكن هذه المصادر نفسها يجب أن تستعمل بحذر شديد ، لأن « بلوت » لم يرد حقا أن يمثل فى كتابته اللغة البونية تمثيلا صحيحا ، والكتابة اللاتينية أيضا لا تصلح لمثل ذلك إلا برداءة . ولاشك أن الجمهور ضحك كثيرا عندما سمع رطانة أهل قرطاجنة المكروهين ، دون أن يسأل عما إذا كانت اللغة التى سمعها صحيحة كلها أولا . هذا ولم يكن من المناسب أيضا للغة البونية ، إكراهها على الخضوع لبحر الشعر اللاتينى (Sechsfüssiger Lmbus) فلم يحفظ لها ضبطها . وبالإضافة إلى ذلك ، يأتى فى النهاية ، ذلك التشويه القبيح فى المخطوطات فى المواضع التى لم يفهمها الناسخون . وهكذا انفق المرء بلا طائل كثيرا من الذكاء والفطنة

انظر معالجة Gildemeister لهذه الفصول فى :

...schl'sche Plautus - Ausgabe (Tomus 2 ,Fasc. V,Lipsiae 1884)

بونية بلوت . غير أنه من جهة أخرى قد خرج البحث المعتدل — الذى يتنازل عن حل مالا يحل من الألغاز — من ذلك أيضاً بنتائج قيمة جداً .

واللغة الفينيقية قريبة جداً من العبرية فى قواعدها . والأصوات الساكنة فى كلتيهما واحدة ، وليست قليلة بعكس الحال فى الآرامية ، وغيرها من اللغات الأخرى القريبة(١) . أما الحركات فيبدو أن الفينيقية تنحرف فيها كثيراً عن العبرية . ولم تتقدم الفينيقية فى الربط بين الجمل إلا يسيراً عن العبرية . وإننا لنرى فى الفينيقية — على الأقل مرة واحدة — ارتقاء صغيراً نحو التحديد الدقيق لزمن الفعل ، باستعمال « كان » مع الماضى ، للدلالة على انتهاء الحدث تماماً (أو للدلالة على الماضى البعيد)(٢) . أما الانحراف المهم عن العبرية ، فهو فى عدم وجود « الواو القالبة » فى الفينيقية ، تلك الواو التى تفضل العبرية (حتى فى نقش ميشع) ارتباطها بالفعـــل المضارع . أما مفردات الفينيقية فتتشابه كثيراً مع مفردات العبرية ، ولكن قـــد تكون كلمة ما كثيرة الورود فى الفينيقية ، وهى بنفسها نادرة الوجود فى العبرية ؛ وذلك

(١) قد يكون نطق الفينيقيين فى القديم مفرقا للأصوات الساكنة الأصلية ، أكثر مما فوق بينهما الخط . وأنه لعجيب ان يصور الأغريق اسم المدينة « صور » (عبرى Sòr التى اصلها (ظور Thurr) بصوت (τ (Tvϱos) واسم مدينة « طيدون » التى أصل صادها سامى قديم ، بصوت ß (ν Ẇ d ,Σ) وهذه التفرقة الجائزة اشتقاقياً ، ربما أخفت بعضها أداة الخط الناقصة فى العبرية أيضاً . ويمكننا أن نثبت شيئا من هذا ، بالنسبة للسين والشين أيضا .

(٢) kân madar كان مدح Idal, 5 (Corpus Inscr Sem., Phoen, 1, 93)

مثل « فَعَل» فإنها فى الفينيقية ليست Pa²a¹sa ولكنها Pa²aj (مثل العربى فَعَل)الذى لا يوجدفى العبرية (كـفِعْل)إلا فى الشعر والكلام الفصيح ؛ ومثل « ذهبٌ» فهى ليست Zahab (كما فى معظم اللغات السامية الأخرى) ولكن haruṣ,⁽¹⁾ التى توجد نادراً فى الشعر العبرى(فى الآشورية huraṣ) .

وقد اكتشفت اختلافات فى اللهجات الفينيقية ، فى النقش الذى وجد فى مدينة Byblus التى يظهر أن سكانها قد انفصلوا حقيقة عن باقى الفينيقيين (يوشع ١٣ | ٥ والملوك الأول ٥ / ٣٢) ؛ كما يرجح أيضاً وجود فروق مختلفة بين لغة الوطن الأم للفينيقيين ، ولغة مستعمراتهم فى أفريقيا قديما نوعاً ما . ومع ذلك لا تقطع الآثار التى لدينا بشىء ما فى هذا السبيل . وعلى العكس من ذلك تظهر النقوش الحديثة السن فى أفريقيا ، تغييرات صوتية معينة ، ولا سيما ترقيق أصوات الحلق ، الذى يوجد على وجه الخصوص فى النقوش المسماة « بالبونية الحديثة » (منذ القرن الثانى قبل الميلاد)وعندئذ حصل خلط كثير فى الكتابة بين أصوات الحلق التى خسرت مخرجها الحقيق ، كما حصلت عدة تغييرات أخرى . وقد كتبت النقوش البونية الحديثة للأسف ، بحروف غير واضحة ومتغيرة عن أصلها ، حتى إن المرء لا يتعرف فيها على الصيغة الحقيقية للكلمات على وجه التأكيد . هذه اللهجة البونية الحديثة ظلت موجودة كلغة معتبرة فى منطقة قرطاجنة ، حتى حوالى عام ٤٠٠ بعد الميلاد ، بل ربما بعد ذلك . ويظهر أن الفينيقية فى مهدها الأصلى كانت تعانى —

---

(١) من هذه الكلمة استعيرت على ما يظهر الكلمة الأغريقية Χρυσός

أكثر من العبرية — من مزاحمـــة الإغريقية من جانب ، والآرامية من جانب آخر .

الآرامية

واللغة الآرامية ، وإن كانت أقرب إلى اللغة العبرية — الفينيقية ، إلا أنها انفصلت عنها تمام الانفصال . ونحن لا نعرف شيئاً مؤكداً عن الموطن الأصلى للغة الآرامية ؛ فاسم «آرام» يتردد فى كتاب العهد القديم ، كتسمية قديمة نوعاً ما لجهات فى سوريا (آرام دمشق . . وغيرها) والعراق (آرام النهرين(١)) . وقد اتسعت لغة الآراميين شيئاً فشيئاً حتى احتلت كل سوريا ، حتى الأجزاء التى كانت محتلة قديما بأقوام غير ساميين ، وغيرها من الأجزاء التى يظن أن قبائل كنعانية كانت تقطنها ، وأخيراً أيضاً فلسطين . وفى الشرق نجد هذه اللغة فى القرن الأول الميلادى ، فى منطقة الفرات ، وكل منطقة دجلة ، فى الجنوب والغرب من جبال أرمينية وكردستان . وقد سميت المنطقة التى تقع فيها مدائن الملوك الساسانيين «بلد الآراميين» أو «بلد السريان(٢)» . ويرجح أن الآراميين هنا كانوا يكونون فى بابل وآشور منذ القدم جزءا

---

(١) الفقرات الخاصة بذلك فى العهد القديم ، تجعلنى لا أشك مطلقا فى أنه كان يفهم دائما بحق تحت هذا الاسم ، أرض العراق . وقد كانت مدينة «حران» التى ذكرت هناك كثيراً أهم مدينة فى هذه البلاد ، قبل أن تقوم مدينة «إديسا»

(٢) بالسريانية . Béth Armâje وبالفارسية : Sûristân

كبيراً ، بل لجزءا الأكبر من السكان ، بينما كانت اللغــــة الآشورية لغة الحكومة والأدب .

واقدم مستندات اللغة الآرامية عبارة عن نقوش ، بعضها على أبنية أثرية ؛ وبعضها على أشياء صغيرة ، مثل : الأختام ؛ والأحجار الكريمة ، وصنجات الوزن . وقد قدمت الحفريات التى تمت فى شمالى سوريا (تل زنجيرلو ، وما حوله ، ونيراب) منذ وقت قصير ، بعض النقوش الغريبة التى ترجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد . ولغة هذه النقوش تشبه اللغة العبرية كثيراً ؛ غير أن بعض المميزات الآرامية الخاصة تلزمنا بالاعتراف بآراميتها . ومما يعجب له خاصة أنه لا يوجـــد فيها فى مقابل الأصوات العربية (ث ، ذ ، ظ) الأصوات الآرامية (ت ، د ، ط) حسب القاعدة العامة ، وإنما يوجد فيها (ش ، ز ، ص) كما فى العبرية والآشورية . وهذه الظاهرة تلاحظ كذلك فى بعض النصب التذكارية الصغيرة . وإنه ليظن الآن أن حالة هذه الأصوات ، يمكن أن تكون هى الأصل فى الآرامية ، وأن الحالة المعروفة لنا منذ مدة طويلة ، قد تولدت من تلك فيما بعد . غير أن العلاقة المطردة بين الآرامية العامة والعربية تجعل هذا الظن غير جائز ؛ ولذلك يجب أن يبحث المرء عن تفسير آخر . ويظن أن التفسير هو أن هـذه الآثار كانت لا تزال تحتفظ — تقريباً على الأقل — بالأصوات الأصلية المطردة فى العربية ؛ غير أن الخط قد رمز لكل من الذال والزاى برمز واحد وكذلك لكل من الظاء والصاد ، ولكل من الثاء والشين . أما بالنسبة للحالتين الأوليين فقد لا توجد صعوبة فى مثل هذا الظن ، ولكن توجد هذه الصعوبة بالنسبة

الحالة الثالثة ؛ ولذلك فمن الأحسن أن يقطع المرء بأننا هنا أمام لغة آرامية، قد تأثرت تأثراً كبيراً بلغة سامية أخرى ، يمكن أن تكون لهجة قريبة جداً للعبرية ، كما يمكن أن تكون الآشورية . ويشهد للرأى الأخير أن كل النصب التذكارية الصغيرة ، والخاصة بذلك تنحدر من آشور نفسها ، وقد نقش عليها بالآشورية إلى جانب الارامية. وأما النصب الكبيرة، فقد وجدت فى منطقة يغلب على الظن أن سكانها كانوا غير ساميين ، كما كانوا خاضعين لملك آشور المسمى فى نقشين من هذه النقوش بالسيد الأعلى . كما يشهد لذلك الرأى الأخير أيضاً ، ذلك الاستعمال الغريب لرمز الاضافة الآشورية scha فى نقوش « نيراب » . ومع ذلك فمن الممكن أن يكون صحيحا أيضاً أن صوتى (ز ، ض) هنا ليسا ناتجين من صوتى (د ، ط) الموجودين فى اللهجات الآرامية الأخرى . ولكنهما ناتجان مما يظن أنه أصل لكل اللهجات الآرامية القديمة ، وهو الصوتان الموجودان فى العربية (ذ ، ظ) . ومما يعجب له فى تلك النقوش كذلك أن مقابل الصوت العربى (ض) فيها ليس (ع) كما فى الآرامية ، وليس (ص) كما فى العبرية والآشورية (وبعض الآرامية) ولكنه صوت (ق) . هذا وأننا نأمل أن يدوم للحفريات فى شمالى سوريا نشاطها ؛ فإن ماسيعثر عليه من الأشياء المهمة التى ننتظرها بالتأكيد ، سيتيح للعلم والتاريخ اكتشافات جديدة ، كما أنه بالطبع سيأتى بألغاز أخرى جديدة .

هذا ويتضح من بعض النصب التذكارية الصغيرة الأخرى أن أصوات الارامية العامة كانت موجودة فى تلك الفترة التى تنسب إليها النقوش

سالفة الذكر ، ولهذا يجب ألا نرى فيها إلا انشقاقا لهجيا قديما . ويسود في النقوش وأوراق البردى حتى العصر الهليني استعمال (ز) بدلا من (د) في اسم الاشارة ، وفي اسم الموصول ، الذى يستعمل كأداة للإضافة ؛ غير ان آثاراً من ذلك توجد أيضاً في عصور متأخرة . وفي اللغة المنداعية (انظرها فيما بعد) تنوب الزاى عن الدال (الناتجة عن الذال) فيما عدا ذلك يضاً في بعض الكلمات ؛ غير أن ذلك يندر فيما أصله الدال ، حتى إن المرء ليظن هنا أن بعض ذلك على الأقل ، تغيير صوتي خاص في عصور متأخرة أما كلمة arqa «أرض» المقابلة للكلمة ar'â في الارامية العامة ، فإنها توجد أيضاً بالقاف بدل العين (عربي ض وعبرى وآشورى ص) في بعض النقوش المتأخرة . بل ربما في جميع النقوش كاصطلاح معروف .

وفي العصر الفارسي كانت اللغة الآرامية هي اللغة الرسمية للمقاطعات الواقعة غربي الفرات ، لدرجة أننا نجد أن عملة الحكام وأمراء العشائر الذين كانوا في آسيا الصغرى ، والذين صنعت بعض أختامهم بيد صناع مهرة من الأغريق ، هذه العملة كانت تحمل النقوش الآرامية ، إلى جانب اللغة الإغريقية كذلك. وقد استخدم بعض أشراف هذا العصر اللغة الآرامية في نقشين من نقوش آسيا الصغرى ؛ وأحد هذين النقشين يستخدم الأغريقية إلى جانب الآرامية . ولا يستنتج من مثل هذا الاستعمال بالطبع أن اللغة الآرامية نفسها قد امتدت في آسيا الصغرى حتى وصلت إلى Sinope و Hellespont . وقد وصلتنا من مصر نقوش آرامية ترجع إلى العصر الفارسي — منها واحد يرجع تاريخه إلى السنة الرابعة من حكم « أحشويروش Xerxes = ٤٨٢ قبل

الميلاد — كما وصلنا كذلك محاضر على ورق البردى ، فى حالة مهلهلة مع الأسف . ويرينا كل هذا أن الفرس كانوا يفضلون هناك استعمال هذه اللغة المريحة ، على أن يوقعوا أنفسهم فى صعوبات الخط الهيروغليفى . ولعله كان موجوداً فى مصر ، فى هذه الحقبة ، بعض الآراميين، والفينيقيين، والإغريق واليهود . ولعل تفضيل اللغة الآرامية كان موجوداً من قبل لدى الدولة الآشورية ، التى يتكلم عدد كبير من رعاياها ، على أى حال ، اللغة الآرامية والذين تهمهم اللغة الآرامية ، بالطبع ، أكثر مما تهم الفرس . وهكذا يتضح لنا كيف أصبح من المسلم به أن يرى موظف آشورى كبير ، يتكلم اللغة الآرامية (الملوك الثانى ١٨ / ٢٦ = أشعيا ٣٦ / ١١) ، وأن أشراف اليهود قد تعلموا لذلك الآرامية (نفس المصدر السابق) ؛ لكى يستطيعوا التعامل مع الآشوريين . وقد قوى جانب رجحان الآرامية سيادة الكلدانيين القصيرة . وقد وجدت منذ وقت غير طويل ، نقوش آرامية قديمة فى داخل الجزيرة العربية ، نوعا ما ، فى واحة تيماء ، (شمالى الحجاز) ؛ وقد ألف أقدمها ، بل ربما أهمها ، قبل العصر الفارسى . وقد دخلت اللغة الآرامية هنا عن طريق الاستعمار التجارى ، الذى حل بهذا المركز التجارى القديم . ولعل العرب الذين كانوا مقيمين هناك ، اتخذوا هذه اللغة ، لغة أدبية لمدة طويلة — وآثار هذه الفترة تقدم لنا نفس لغة الفترة السابقة تقريباً ؛ أما آثار مصر ففيها ما يدل على تأثرها بالعبرية ، أو على الأصح ، بالفينيقية .

ونستطيع أن نتعرف ، من الفصول الآرامية فى العهد القديم ، على شكل اللغة التى كان يستخدمها اليهود فى فلسطين . وبعض فصول سفر عزرا ،

يمكن أن تكون راجعة للعصر الفارسى ، غير أنها قد نقحت بالتأكيد فيما بعد(١) ومع ذلك فلا يزال يوجد فى سفر عزرا بعض الصيغ القديمة ، التى لا توجد فى سفر دانيال (مكتوب فى عام ١٦٧ أو ١٦٦ قبل الميلاد) وللفصول المكتوبة بالآرامية فى العهد القديم أهميتها الكبرى عندنا ؛ لأنها تبين الحركات، ورموز النطق الأخرى . غير أن مثل هذه الأشياء ، لم توضع إلا بعد مدة طويلة من التأليف ، كما أنها تتعارض أحياناً مع النص الأصلى . ولكن لأن الآرامية كانت لا تزال حية عند نشأة الإعجام ، ولم يكن البعد الزمنى كبيراً بينهما فإن الإعجام لذلك يعطى اللغة الآرامية ثقة أكثر مما يعطى العبرية . ومما يكفل لنا ، فيما عدا ذلك ، صحة الآرامية فى عمومها ، اتفاقها الكبير مع نطق السريانية ، المعروف لنا تماماً . وتوجد فى آرامية العهد القديم أشياء قديمة مختلفة ، اختفت فيما بعد ؛ وذلك مثل صوغ المبنى المجهول بتغيير حركات الفعل الداخلية ، وصوغ فعل السببية باللاصقة ha بدلا من a ، وظواهر أخرى ، يرى بعض الناس — دون حق — أن الآرامية متأثرة فيها بالعبرية . هذا ويتفق مع آرامية العهد القديم ، على وجهة العموم ، لغة النقوش التدمرية العديدة (قبل ميلاد المسيح بقليل حتى نهاية القرن الثالث الميلادى) وكذلك لغة العملة ، والنصب التذكارية النبطية (حتى سنة مائة ميلادية) فاللغة الآرامية كانت لغة التدمريين ، الذين كان معظم أشرافهم عرب فى الأصل . أما النبط فقد كانوا عرباً ، وكان يعيش فى الأجزاء الشمالية

---

(١) فالأمر الذى يقال إنه أعطى لعزرا (سفر عزرا ٧ / ١٢ وما بعده) ليس — كما نقرأه الآن — إلا نتاج عصور متأخرة نوعاً ما .

لمملكتهم (بالقرب من دمشق) كثير من الآراميين ؛ ولكن اللغة العربية كانت تتكلم فى جنوب تلك المملكة ؛ غير أن اللغة الآرامية كانت حينئذ اللغة الأدبية المفضلة التى يستعملها أولئك العرب؛ لأن لغتهم الخاصة لم تكن لغة أدبية . ويشبه ذلك ما كان يحصل فى جهات كثيرة فى تلك العصور ، حيث كان المرء لا يتكلم الأغريقية ، ومع ذلك يكتب بها كثيراً من النقوش . ويدلنا على أن هذا الشعب كان عربياً ، أن الأعلام الكثيرة الموجودة فى النقوش النبطية ، كلها تقريبا عربية — بصرف النظر عن بعض الأعلام الأغريقية — ومعظمها ينتهى بنهايات إعرابية عربية واضحة . ويتضح ذلك أيضاً ، فى ظهور اللغة العربية — لغة المولد — كثيراً وسط اللغة الأجنبية ، فى نقوش حفريات «حجر» الكبيرة (بالقرب من «تيماء» المذكورة آنفا) مثل : استعمال الكلمات العربية ، إذا لم تخطر الكلمات الارامية على بال الكاتب عندئذ ، مثل كلمة (غير) الخاصة بالعربية ، وكذلك ظواهر اعرابية كثيرة . وتنتهى تلك النقوش الكبيرة ، بانتهاء مملكة النبط ، على يد ترياناس قيصر (١٠٥ بعد الميلاد) ؛ غير أن الرعاة ، أو التجار العرب ، فى هذه البلاد ، ولا سيما فى شبه جزيرة سيناء ، قد نقشوا أسماءهم كذلك فيما بعد ، باللغة الارامية ، مصحوبة بصيغة من صيغ الترحم ، أو التبريك ، على الصخور الملساء . ونحن نعرف الان المئات من هذه النقوش(١) ويرجع دلالة اسم النبط عند العرب

---

(١) قد ظن Kosmas Indikopleustes (فى النصف الأول من القرن السادس الميلادى) أن نقوش سيناء؛ التى لم تكن تبلغ من العمر عندئذ إلا ٢٠٠ عام ، تذكار لخروج بنى إسرائيل مع موسى من مصر . وكان هذا الرأى لا يزال يلقى التأييد ، حتى قبل وقت قصير .

فيما بعد على الارامين ، إلى انتشار الارامية ، بالتدريج فى أجزاء كبيرة من الدولة النبطية ؛ فقد كان للآرامية ، حينذاك قوة قاهرة حقا . ويظهر ذلك فى الدور الذى لعبته اللغة الآرامية فى الخط الفهلوى العجيب ، الذى نشأت أنواعه المختلفة فى عصر الدولة الفارسية (١)

ونسمى آرامية العهد القديم ، ولغة النقوش التدمرية ، والنبطية ، بالآرامية الغربية القديمة . وغير صحيح مطلقاً الرأى القائل بأن يهود فلسطين ، قد جلبوا لهجتهم الآرامية مباشرة من بابل ، حيث جاءت التسمية الخاطئة لهذه اللهجة « بالكادانية » . ويمكننا الآن أن نتعقب فى فلسطين تطور الآرامية الغربية إلى حد بعيد . ولكن مصادرنا ليست صالحة مع الأسف إلا فى القليل . وقد تحتم اتباع تلاوة الكتاب المقدس « بترجوم » شفهى للشعب ، وهو عبارة عن ترجمة لما يتلى أو تفسير له ، بلغتهم وهى اللغة الآرامية . وقد دون هذا الترجوم فيما بعد ، غير أن الصيغة النهائية الرسمية للترجوم التابع للتوارة (المسمى بترجوم انكلوس Onkelos) وكذلك الترجوم التابع لكتاب الأنبياء من كتب العهد القديم (المسمى بترجوم يوناثان Jonathan قد نقحت نهائياً فى القرن الرابع الميلادى ، لا فى موطنها الأصلى ، بل فى بابل . وبذلك حفظت لنا اللهجة الفلسطينية القديمة إلى حد ما ؛ غير أن الانحرافات البابلية فى بعض الأجزاء ، قد شوهت هذه اللهجة . ولإعجام الترجوم الموضوع فى وقت متأخر (تم

---

(١) انظر كتابى : Aufsätze zur persischen Geschichte ص ١٥٠ وما بعدها (ليبزج ١٨٨٧)

أولا فى بابل) اعتبار أقل من إعجام آرامية العهد القديم . وفيما عدا ذلك ، تقترب لغة ترجوم انكلوس وترجوم يوناثان ، من آرامية العهد القديم جداً . أما اللغة التى كان يتكلم بها يهود فلسطين ، ولا سيما فى منطقة « الجليل » ، فى وقت متأخر ، فإنها تقابلنا فى قائمة من أعمال الربانيين : الترجومات المسماة بترجومات أورشليم (والجزء التابع منهـــا لكتاب « المكتوبات » حديث فى معظمه) وبعض أعمال المدراش ، وكذلك تلمود أورشليم(٢) . ولكن ، مع الأسف ، قد وصلتنا مع قليل من العناية ، كل هذه الأعمال ، التى يحتوى من بينها المدراش ، وتلمود أورشليم ، على الكثير جداً من العبرية أيضاً ، ولا تستعمل فى الأغراض اللغوية ، إلا باحتراس شديد . وبالإضافة إلى ذلك ، فإن تأثير اللغة القديمة والخط ، قد ستر إلى حد ما ، بعض خصائص هذه اللهجة الشعبية . وهكذا نجد أن حروف الحلق المختلفة لا زالت تكتب ، على الرغم من أنها لم تعد تنطق بعد . وتبدو فى تلمود أورشليم مطابقة الكتابة للنطق الحقيقى جداً ، غير أن ذلك غير مطرد أيضاً . ويبقى فيما عدا ذلك ، أن هذه الآثار كلها ، قد وصلتنا خالية من الاعجام ؛ غير أن استعمال حروف الحركة كثيراً فى النصوص اليهودية المتأخرة ، قد قلل من الإحساس بهذا النقص .

وفى وقت متأخراً استعملت لغة الآثار السابقة ، لبعث اللغة الشعبية ،

(١) المادة اللغوية مثبتة بعناية فى كتاب جوستاف دالمان Gustaf Dlaman:
Gramm. des Judisch - palästin. Aramäisch (Leipizig 1894)

التى تكلم بها المسيح عيسى ، والحواريون، من جديد نوعا ما ، كما استعملت لنقل حكم المسيح عيسى وأقواله ، من اللغة الأغريقية ، إلى لغتها الأصلية الجليلة مرة أخرى ؛ غير أن ذلك مشروع بالغ الخطورة . ومن الصعوبة تحديد إلى أى مدى تظهر تلك الآثار اللغة الجليلية الخاصة ؛ كما يأتى ، علاوة على ذلك ، عدم ضبط الرواية ، وأخيراً الفرق الزمنى المهم .

وقد احتفظ الفلسطينيون المسيحيون كذلك بلهجتهم الوطنية لمدة طويلة ، كلغة للكنيسة والأدب . ولدينا ترجمات للانجيل ، وأجزاء أعمال أخرى ، من القرن الخامس الميلادى تقريباً ، مكتوبة بهذه اللهجة الفلسطينية المسيحية ، مع الإعجام الذى أضيف بالطبع فيما بعد . وتتشابه هذه اللهجة كثيراً مع لهجة يهود فلسطين ، كما أن من يتكلمون بها قد انحدروا بالطبع من الشعب اليهودى أيضا ، ويرجح أن موطنها الأصلى كان « يهوذا » لا « الجليل » (١)

السامرية :

وأخيراً قد ترجم السامريون فى فلسطين ، أيضاً كتابهم المقدس الوحيد « التوارة » إلى لهجتهم ويخرج الفحص الدقيق لهذه الترجمة ، بأن لغتهم ، كانت قريبة الشبه جداً ، بلغة جيرانهم اليهود ولعل السامريين قد ذهبوا فى ترقيق حروف الحلق ، إلى مدى أبعد مما ذهب إليه اليهود فى الجليل . ولعلهم

---

(١) مجلة ZDMG جـ ٢٢ ص ٤٤٣ وما بعدها ؛ Friedr. Schwally,
Idioticon des christl. Palästin. Aramäisch. (Giessen 1893)

الشديد بتزيين لغة الترجمة ، عن طريق خلط الأصل — دون ضرورة — بصيغ عبرية ، قد أدى إلى الضلالة القائلة بأن السامرية خليط من العبرية والآرامية . وقد أفرط الناسخون فى إضافة كلمات وصيغ عبرية وعربية أيضاً ، بعد موت الآرامية فى « سامرة » . والأشياء التى كتبت فيما بعد ، باللهجة السامرية ، لها من الناحية اللغوية نفس القيمة الضئيلة التى للغة السامرية — العبرية ؛ فقد أراد مؤلفوها ، الذين يتكلمون العربية أن يكتبوا بلغات ، لم يكونوا قادرين عليها .

وكل هذه اللهجات الآرامية الغربية ، بما فيها النقوش القديمة ، تشترك فيما بينها فى أشياء كثيرة ، منها أن حرف المضارعة فى المفرد الغائب المذكر ، وفى جمع الغائب المذكر والمؤنث ، هو « الياء » كما فى اللغات السامية الأخرى ؛ هذا إلى احتفاظها ، إلى وقت متأخر نوعا ما ، بمعنى التعريف المكتسب من اللاحقة â (المسماة بحالة التفخيم Status emphaticus) .

وقد اضطرت اللغة الآرامية إلى التقهقر الشديد ، أمام فتوح المسلمين ، فى القرن السابع الميلادى ، ثم اختفت تماما فى الغرب ، أمام اللغة العربية ، فى قرون معدودة . وقد فقدت اللهجة الفلسطينية أهميتها كذلك ، بالنسبة للمسيحيين هناك ، الذين أصبحوا يتكلمون كالآخرين اللغة العربية . وأخذوا لغة المسيحيين الآراميين الآخرين ، كلغة للآداب . وهى اللغة السريانية

(لغة إديسا(١)) . — ولازالت إحدى اللهجات الآرامية تتكلم حتى اليوم فى « المعلولة » وقريتين أخريين ، من قرى الجبل الشرقى ، بالقرب من دمشق . وقد نشر باريسوت parisot منذ قليل أحاديث مفصلة عن ذلك(٢) وقد نالها بعض التصحيح والتكميل ، بعد ما ظهرت حديثا المادة التى جمعها كل من بريم prym وسوتسن Socin . وقد احتفظت هذه اللهجة العامية بوضوح ، بالخصائص الغربية ، كما أنها أكثر أصالة فى بعض المسائل ، من كثير من اللهجات الفلسطينية ، مثل الاحتفاظ بحروف الحلق . ولكنها مع ذلك تطورت كثيراً ، تطوراً غريباً ، وانحرفت كلية عن لهجات الشمال الشرقى (انظر ص ٦٣) . وقد أثرت فيها العربية أكثر من تأثير اللغات الأخرى المجاورة .

وتظهر لنا اللهجة الشعبية الآرامية البابلية ، فى القرن الرابع حتى القرن السادس الميلادى ، فى التلمود البابلى . ومن العصور المتأخرة نوعا ما ، وليس من جهة بابل بالضبط ، وصلتنا الكتب المقدسة للطائفة « المنداعية » ، تلك الطائفة العجيبة ، التى تدين بوثنية مشوبة بالمسيحية . ومن هذه الكتب يستفيد اللغويون فائدة خاصة ، وهى أن العبرية لايكاد يكون لها أى تأثير فى هذه الكتب ، ذلك التأثير المحسوس من اليهود ، ومن المسيحيين أنفسهم ،

---

١ — حقاً استعملت اللهجة الوطنية القديمة فى أشياء طقسية ، فى بعض المواضع ، لمدة طويلة ايضاً .

٢ — Journ. as . (1898).

فى الاثار الارامية . ويطابق خط الطائفة المنداعية النطق الحقيق ، أكثر من مطابقة خط التلمود لذلك النطق ؛ فيظهر فيه بوضوح ترقيق أصوات الحلق . وفيما عدا ذلك ، فالاتفاق كبير جداً بين اللغة المنداعية ، ولغة التلمود البابلى . وحرف المضارعة فى الصيغ التى ذكرناها من قبل هو فى هذه اللجهات « النون » أو « اللام »(١) . — وقد اضطرت اللغة المحلية أيضاً فى بابل ، إلى التقهقر سريعاً ، أمام لغة الفاتحين العرب . وقد كادت أن تنقرض هناك نهائيا ، منذ زمن طويل ، لولا بقية باقية من المنداعيين ، لاتزال تتكلم فيما بينها لغة منداعية حديثة متطورة من القديمة .

السريانية

وفى « إديسا » غرب بلاد ما بين النهرين ، كانت للهجة المحلية تستعمل لمدة طويلة ، كلغة أدبية . وقد وضعت قواعدها ، قبل أن يشتد ساعد المسيحية هناك ، فى القرن الثانى الميلادى (ويدل على ذلك ثبات الصيغ والخط) . وقد ترجم هناك منذ وقت مبكر ، العهد القديم والجديد ، استنادا إلى الروايات اليهودية . وقد أصبحت هذه الترجمة هى الكتاب المقدس للنصارى الآراميين ، الذين كانت عاصمتهم إديسا . وكذلك أخذ المسيحيون الآراميون فى البلاد المجاورة ، ومن يقع منهم تحت سيطرة الفرس ايضاً ، كل هؤلاء أخذوا لهجة أديسا لغة للكنيسة ، والأدب ، والتخاطب الفصيح .

---

١ — أنظر كتابى فى قواعد المنداعية : Mandäische Grmmatik (Halle 1875)

ولكن لأن إسم « آرام » القديم ، قد اكتسب أمام اليهودية والمسيحية ، المعنى الجانبي المكروه ، وهو « وثني » ؛ تماما كالاسم الاغريقي Ελλημνες « هليني » . فإنهم تجنبوه ، وسموا أنفسهم . ولغتهم بالتسمية الإغريقية « السريان » وسموا لغتهم « بالسريانية » . غير أن اليهود والمسيحيين في فلسطين ، يسمون لغتهم « بالسريانية » كذلك . والإغريق والفرس يسمون الاراميين في بابل أيضاً « بالسريان » ، ولذلك فليس من الصحيح في الواقع تسمية لهجة إديسا وحدها ، باللغة السريانية . غير أنه نظراً لأهمية هذه اللهجة ، فإنها استحقت هذه التسمية الشاملة . — وتحتوى هذه اللهجة — كما ذكرنا من قبل — على صيغ ثابتة جداً . وحرف المضارعة في الصيغ التي ذكرناها سابقاً ، هو « النون » . واللاحقة â قد التصقت تماماً بالاسم كما في لهجات بابل أيضاً ، حتى فقدت معناها التعريفي نهائياً ، مما أضر بوضوح التعبير ضرراً ملموساً . — وقد خلفت هذه اللغة من القرن الثالث حتى السابع الميلادي آدابا كثيرة جداً ، معظمها يتعلق بالكنيسة . وقد اشترك السريان التابعون لدولة الفرس في هذه الآداب بجد ونشاط . وكانت اللغة السريانية ، في الدولة الرمانية الشرقية ، أهم لغة بعد الإغريقية (واللاتينية) . وفي الدولة الفارسية ، كانت السريانية ، لغة الحضارة المهمة أكثر من اللغة الفارسية نفسها . وقد تغير ذلك تماماً بالفتح العربي . غير أنه في أثناء ذلك ، قد نشأ في إديسا نفسها ، فروق ملحوظة بين اللغة الأدبية ، واللغة الشعبية المتغيرة . وقد شعر المرء ، حوالى عام ٧٠٠ بعد الميلاد ، بحاجة ملحة إلى معالجة نحوية للغة ، ووضع رموز واضحة تماما للحركات . وقد أراد الناس . قبل كل شيء تلاوة النص السرياني للكتاب المقدس تلاوة صحيحة ؛ غير أن النطق كان

يختلف كثيراً فى الشرق عنه فى الغرب . فمن جانب قد أثرت اللهجات المحلية بعض التأثير على نطق لغة إديسا(١) ومن جانب آخر ، فقد حدث انشقاق فى تراث المدارس ، بسبب الانقسام السياسى بين روما ، وبلاد الفرس ، وأكثر من ذلك ، بسبب غلبة المذهب النسطورى فى الشرق، واليعقوبى والكاثوليكى فى الغرب وهكذا تكونت منذ البداية طريقتان مختلفتان للأعجام. وأسهلها فى الحقيقة الطريقة الغربية ، أما أكثرهما دقة ، فهى الطريقة الشرقية ، كما أنها تدل على النطق القديم على وجه العموم) مثل ā حيث يوجد فى السريانية الغربية ō و ō فى حالات كثيرة حيث يوجد فى تلك ū) . وقد اختلطت الطريقتان كثيراً فيما بعد .

وقد اضطرت السريانية أيضا إلى التقهقر كثيرا أمام العربية ، التى أنهت سريعا سلطة الآرامية فى كل مكان ، تلك السلطة التى دامت أكثر من ألف عام فقد كتب مطران « نسيبس » Nisibis العـــالم « إلياس برشنايا » Elias bar Schinnâjâ (عام ٩٧٥ حتى حوالى ١٠٥٠ بعد الميلاد) ما كتبه للمسيحيين ، إما باللغة العربية ، أو بالعربية والآرامية ، فى أعمدة متجاورة ؛ وبمعنى آخر ، بلغة الكلام إلى جانب لغة العلم . وهكذا نشأت الحاجة

---

١ — ويمكن مقارنة ذلك بتأثير اللهجة المحلية على النطق ، إن قليلا وإن كثيراً ، فى اللغتين الألمانية والايطالية ، حتى بين المتعلمين كذلك .

أيضا حينذاك ، إلى قاموس سريانى — عربى ؛ إذ أصبحت اللغة السريانية لغة ميتة . ولم يغير من ذلك الموقف شيئا ، أنه قد كتب بها فيما بعد ، كثير من الأعمال القيمة فى معظمها ، وفى كثير منها صيانة شديدة للضبط اللغوى؛ وأن السريانية لاتزال حتى يامنا هذه باقية فى الاستعمال التحريرى ، ولغة العبادات ، ولا تزال تتكلم فى المعابد والمدارس أيضا . أما متى بادت اللغة السريانية كلية من إديسا وما حولها ، فأمر يصعب تحقيقه .

واللهجات الآرامية الباقية حتى اليوم فى الجهات الشمالية ، لا تعتبر خلفا مباشرا لهذه اللغة ، التى فضلنا تسميتها « بالسريانية » . ففى سلسلة جبال « طور عابدين » فى بلاد ما بين النهرين ، وفى جهات معينة شرقى الموصل وشماليها ، وأيضا فى سلسلة الجبال المجاورة لكردستان ، وكذلك فى تلك الجهة ، فى الجانب الغربى لبحيرة « أرميا » — فى كل هذه الجهات ، يتكلم المسيحيون ، وكذلك اليهود ، لهجات آرامية ، نعرف الآن بعضها بالضبط إلى حدما(١) . وتتميز لهجة طور عابدين بوضوح نوعا ما ، عن كل اللهجات

---

(١) منذ أن ظهر كتابى : Neusyrische Grammatik (Leipzig 1868) كثرت المواد المجموعة كثرة تبشر بالخير . انظر على الأخص :

Socin, Die neu-aramäischen Dialecte von Urmia bis Mosul (Tübingen 1882).

Rubens Duval, Les dialectes néo — araméens de Salamas (Paris 1883).

Guidi, Beiträge zur Kenntniss des neu - aram. Fellîhî — Dialektes (in ZDMG 37, 293).

Prym und Socin, Der neu-aram. Dialect des Ṭûr ʿAbdîn (Göttingen 1881).

Mark Lidzbarski, Die neu - aram Handschriften der Kgl. Bibliothek zu Berlin (Weimar 1896).

وأنظر مناقشاتى لهذه الكتب فى ZDMG وانظر على الأخص كتاب :

A. J. Maclean, Grammer of the dialects of vernaculer Syriac (Cambridge 1895).

الأخرى وقد انقسمت لغة ذلك الجانب من دجلة مرة أخرى ، إلى عدد من اللهجات المحلية ، وأهمها لهجة «ارميا» ؛ لأن جهد البعثات الامريكية ، قد خلق منها لغة أدبية جديدة ، طبع بها كثير من الكتب نوعا ما . وفيما عدا ذلك ، فقد ظهرت كتب الدعاية الرومانية ، فى لهجتين من السريانية الحديثة . — كل هذه اللهجات ، يوجد فيها تغيير كامل لبناء اللغة القديم ، أكثر مما فى اللهجة المنداعية مثلا . فقد اندثرت على وجه الخصوص أزمنة الفعل القديمة ، ولم تترك أى أثر تقريبا ، غير أنها عوضت بالبناء الجديد ، المأخوذ من اسم الفاعل . وفيما عدا ذلك ، توجد أيضا أبنية جديدة نافعة ؛ فقد وجدت فى لهجة طور عابدين مثلا ، أداة للتعريف مرة أخرى . وبسبب الترقيق الشديد ، حصلت بعض هذه اللهجات ، ولا سيما لهجة «ارميا» ، على نوع من الايقاع الغريب نوعا ما على اللغات السامية ، التى تتصف (كما قال هيرونيموس) بخشونة الأصوات . وقد أخذ كل هؤلاء الآراميين بالطبع ، خليطا من الكلمات الأجنبية ، من لغات العرب ، والكرد ، والترك ، الذين يسكنون بجوارهم ،وكان معظمهم يستطيع التحدث بلغة واحدة على الأقل من لغاتهم .

وكثيرا ما يدعى أن اللغة الآرامية لغة فقيرة . غير أنى لا أنحاز إلى هذا الحكم ؛ إذ يتكون لدينا الآن ، من الأعمال الأدبية الآرامية القديمة ، معجم كبير غنى بالمفردات ، ولكنه لا يحفظ لنا ، مع ذلك إلا جزءاً من تراث اللغة ، فى الأدب الدينى ، الذى يفوق الآداب الأخرى فى الكثرة . ومن الطبيعى أن الآرامية ، التى اتصلت اتصالا وثيقا . منذ قديم الزمان بلغات أجنبية ، قد أخذت الكثير من كلمات هذه اللغات ، ولا سيما من الفارسية

والإغريقية . غير إننا إذا صرفنا النظر عن أن كثيرا من المؤلفين السريان، كانوا يستعملون الكثير من الكلمات الإغريقية، حبا فى الأبهة والافتخار، أو بسبب السهولة (ولا سيما فى الترجمة) ، تلك الكلمات التى لم تكن مفهومة إلا لبعض قرائهم (الذين لم يكونوا مطلقا من أهل تلك اللغة) — إذا صرفنا النظر عن كل هذا ، فإننا نجد أن عدد الكلمات الأجنبية حقا فى الآداب الآرامية القديمة ليست كبيرة ، بل ربما كانت أقل من الكلمات الرومانية فى الألمانية والهولندية . وتأثير الإغريقية على إعراب وأسلوب السريانية كبير نوعا ما ؛ غير أنه ليس أكبر من التأثير الذى أثرته ، فى هذه الناحية ، الإغريقية عن طريق اللاتينية، فى اللغات الأدبية الأوروبية الحديثة.

ومن أبرز خصائص الآرامية (إلى جانب معالجتها الخاصة للأصـــوات الأسنانية) شدة فقر صيغها فى الحركات أكثر من العبرية والعربية ؛ إذ فقدت على وجه التقريب كل الحركات القصيرة فى المقاطع المفتوحة كلية ، أو فيما عدا بقايا قليلة للحركات (السكون المتحرك Schwa) . وفى ذلك يتفق إعجام آرامية العهد القديم مع السريانية ، التى يمكننا أن نلاحظ فيها منذ القدم ، عدد الحركات فى الأشعار المبنية على عدد المقاطع ، كما يتفق مع المنداعية ، التى تعبر عن كل حركة بحرف من حروف الحركة . ومثل هذا الاتفاق بين اللهجات المتباعدة المختلفة، يدل على توغل هذه الظاهرة فى القدم غير أنه لا يزال يوجد آثار للوفرة القديمة من الحركات . وقد يكون من الجائز أن الآراميين الذين حاربهم داود مثلا ، كانوا يتكلمون ببعض الحركات التى فقدت فيما بعد . — ومن خصائص الآرامية قدرتها الكبيرة على ربط

الجمل بعضها ببعض أكثر من العبرية والعربية . هذا إلى أنها تحتوى على عدد كبير من أدوات العطف ، والظروف الدقيقة التحديد . وبالإضافة إلى ذلك يوجد بها حرية كبيرة فى وضع الكلمات فى الجملة . وتدلنا اللغة « المنداعية » البعيدة عن التأثير الإغريقى ، على أن هذه الخصائص ، التى تمكن من كتابة النثر بسلاسة ووضوح ، لم تحصل عليها اللغة بتأثير من الإغريقية وعما يفسد الآرامية ميلها إلى الإسهاب للسعى وراء الوضوح ، مثل كثرة الضمائر ، وأسماء الإشارة . حقاً يوجد تباين ظاهر بين الآرامية ، كأداة للنثر ، والعبرية كأداة للشعر ، غير أنه لا يجوز المبالغة فى ذلك ، إذ لا ينتفى عن الارّاميين أيضاً الاستعداد للشعر مطلقا . وليس لشعر السريان العقلى بالطبع من الجمال ما يجعلنا نميل إليه ؛ غير أنه يوجد فى بقايا أغانى(١) العارفين (gnostisch) شعر بمعنى هذه الكلمة . وقد اكتشفت حـــديثا فى اللهجات الحية قصائد غنائية شعبية بسيطة ، غير أنها حية ومؤثرة جداً(٢). وهكذا فإنه من المحتمل جداً أن الارامية كانت تستعمل كذلك فى العصور القديمة فى الأشعار ، غير أنها استبعدت ؛ لأنها تضاد الخصائص اللاهوتية للتركيب .

---

(١) توجد على الأخص فى فصول لرسول توماس القديمة ، التى لا تتبع الكتاب المقدس ، والتى حصلنا عليها فى نص سريانى قديم ، وإن كان قد نقح فيما بعد .

(٢) انظر الكتب السابقة لكل من Socin و Lidzbarski

الآشورية

وقد ازدهرت قبل الارامية بزمن طويل ، فى بلاد دجلة وأسفل الفرات ، لغة من اللغات السامية ، لم يحفظها لنا إلا الخطوط المسمارية ، وتسمى هذه اللغة غالباً باللغة « الاشورية » بحسب أول مكان وجدت فيه نقوشها الكبيرة بكثرة . غير أن الأصح ، هو تسميتها « بالبابلية » ؛ لأن بابل كانت المهد الأصلى لهذه الحضارة ، وتلك اللغة . ويبدو أن بعض النقوش البابلية يرجع إلى أربعة آلاف ، إن لم يكن إلى خمسة آلاف سنة ، إلا أن الجزء الأكبر من النقوش المسمارية التى عثرنا عليها ، يرجع إلى الألف سنة الأخيرة قبل الميلاد . والآشورية أقرب إلى العبرية — كما يبدو — منها إلى الآرامية . وعلى العكس من ذلك تبتعد من جديد ، فى بعض القطع ، عن أخواتها الساميات بعداً كبيراً ، حتى إن بعض العارفين بها — وربما كان الحق معهم — من رأيهم أن كل اللغات السامية ، بما فيها العربية والحبشية ، تكوّن فى مقابل الاشورية ، مجموعة مستقلة . على كل حال ، فإن الاشورية قد تطورت منذ القدم تطوراً كبيراً ، كما أنها فى كثير من الأشياء ، أقل احتفاظا بالقديم من اللغات السامية الأخرى ، التى لم تثبت إلا بوثائق متأخرة جداً ؛ إذ فقدت الاشورية مثلا الفعل الماضى (كلية أو فيما عدا آثار قليلة منه) ، كما اختفت أصوات الحلق كلها فيما عدا « الخاء » كما حدث فى اللهجات الآرامية الحديثة فقط . ويبدو ذلك — على الأقل —

من الخط الآشورى ، وكـــذلك من الطريقة التى يسجل بها المشتغلون بالآشورية هذا الخط باللاتينية . ويشهد على ذلك الصيغة البابلية bêl لاسم الإله (توجـد فى اشعيا ٤٦ / ١ وأرميا ٥٠ / ٢ ؛ ٥١ / ٤٤ وكثير من الأماكن التى ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد) واصلها ba'l . غير أنه من جانب آخر ، يكتب العهد القديم ، إسم الاقليم . شنعار Schin'ar الذى فيه بابل ، وكذلك اسم إحـد آلهة بابل عنميلخ[1] 'Anammelech (الملوك الثانى ١٧ / ٣١) ؛ وكذلك أيضاً أسمـــاء القبائل التابعة المنطقة البابلية الآشورية 'Schôa و 'Kôa (حزقيال ٢٣ / ٢٣) — كل ذلك يكتبه العهد القديم « بالعين » مما يعارض الرأى السابق . وكذلك تقدم الكتابة السامية « عيناء أيضاً ، فى بعض أسماء الأماكن البابلية القديمةعلى الأرجح ؛ مثل : 'Anât و Dé 'â (Nehar) . وأننا نجد الهاء فى اسم المدينة Hit (ذكرها هيرودوت ١ | ١٧٩) ،كما نجدها فى إسم العلم : Hadadnadinach المنقوش بالحرف الآرامية ، بطريقـة بابلية . ولعـــل الخطوط المسمارية ، الآشورية — البابليـة لم تثبت بعض أصوات الحلق المنطرقـة ، تماماً كالخطوط المسمارية الفارسية ، التى أهملت رمز الهاء فى حالات كثيرة ؛ على الرغم من أن هـذه الخطوط الأخيرة ، صوتية خالصة على وجه

---

(١) يوجد فى الجزء الأول من هذا الاسم اسم الإله Anu الذى يذكر كثيرا فى النقوش المسمارية . وانظر : Schrader,D.Keilsch.u.d.A.T.zu2kön.17,31

التقريب . وتلك الطريقة الخطية معقدة ، وبتوصل إليها بآلة غريبة الشكل ولا تخدم إلا قليلا غرض تمثيل الصوت تمثيلا دقيقاً ، حتى أننا غير ملزمين أن نعتبر تسجيل المشتغلين بالآشورية فى أيامنا هذه ، لتلك الأصوات — فى كل تفاصيله — الكلمة الأخيرة المطلقة للعلم . وهكذا يلح علينا السؤال عما إذا كانت الحركة الأخيرة ، واللاحقة m (W؟) تنطق دائما حقاً ؛ لأنه قد فرض أن اختلاطا نحويا كاملا قد وقع فى اللغة . وعلى كل حال ، فإنى مع الأسف ، لا أرى نفسى أهلا لأن أتكلم بتفصيل فى الآشورية ، لأنى لست شخصيا من المشتغلين بها ، غير أنى ألفت النظر أيضا إلى أن كثيراً من كلمات الحضارة ، وتاريخ الشعوب ، قد دخل العبرية والارامية على وجه الخصوص ، من لغة البابليين والآشوريين ، بمعانيها عندهم تماما . وبعض هذه الكلمات خرجت إلى مناطق أبعد من ذلك أيضا(١) .

وقد استعمل الخط المسمارى الوطنى فى بابل أيضا ، ليس فقط تحت حكم ملوك الفرس ؛ بل لقد وجدت هناك مستندات بمثل هذا الخط ترجع إلى عهد الإغريق . غير أنه لا يستنتج من هذا بالطبع ، أن الآشورية

---

(١) وهكذا دخلت الكلمة الآشورية muschkinu «مسكين» إلى العبرية والآرامية ، فصارت miskîn ثم انتقلت من الآرامية ، إلى العربية والحبشية (miskîn) ومن العربية انتقلت إلى اللغات الرومانية (meschino، mesquin) والكلمة الفرنسية تستعمل فى الألمانية أحيانا ، لكن على أنها أجنبية دائما .

كانت لا تزال تتكلم فى تلك الحقبة كلها من الزمان . وإنه من الممكن أن تكون هذه اللغة ، قد اختفت من الحياة اليومية ، قبل عهد الاسكندر بزمن طويل ، ولكنها استمرت لغة رسمية ، ولغة للكنيسة . وعلى أى حال ، فقدكانت النقوش محصورة دائما فى دائرة ضيقة من علماء الخطوط(١) وحتى الأعداد الكثيرة جدا من العقود الشخصية البابلية ، المنقوشة على على اللوحات الخزفية ، ما كان يستطيع قراءتها من المتعاقدين أنفسهم إلا القليل . ولذلك فليس من اللازم مطلقا أن تكون مكتوبة بلغتهم الحية .

العربية :

واللغات الشمالية التى عالجناها حتى الآن ، تقابل اللغة العربية والحبشية كمجموعة جنوبية . والفرق فى العربية من جديد ، بين لهجات الجزء الأكبر من الجزيرة العربية ، ولهجات أقصى الجنوب (السبئية وغيرها) . وقد كتب عرب الشمال لغتهم من قديم ، لا كما كان يعتقد من قبل . فقد وجد الرحالة فى العصر الحديث نقوشا فى « العلا » el - 'Oelâ شمالى الحجاز ، ذات مميزات خاصة ، يبدو أنها كتبت قبل ميلاد المسيح. ولأن كلمة ت ل م ى —

---

(١) وخط صعب ، كهذا الخط ، مقصورة معرفته ، فى أوروبا الحديثة كذلك . على عدد قليل من العلماء .

كما يسمى اثنان من الملوك فى هذه النقوش ، ونطقها على وجه التقريب Tolmai — يمكن جداً أن تكون مساوية للكلمة الإغريقية Πτολεmaios فإنه يمكن إرجاع هذه النقوش إلى العصر الهلينى . وقد ساد فى هذه الأماكن فيما بعد ، الخط الآرامى الذى استعمله النبط . ومع أن هذه النقوش ، وجدت على أبنية حجر ، التى جاء ذكرها فى القرآن ، والتى ترجع إلى عصر ازدهار ثمود (انظر فيما سبق ص ٥٣) ؛ فإن تسميتها « بالثمودية » لا يناسب تماما ، على الرغم من وجودها فى أرض ثمود أيضا . وعلى العكس من ذلك ، فإننا نوصى باستعمال التسمية التى اختارها D. H. Müller لهذه النقوش ، وهى « اللحيانية » ؛ لأن ملك لحيان يذكر فى كثير من هذه النقوش بوضوح ، على أنه أمير البلد ويرجح أن « لحيان » اسم قبيلة عربية ، تخصها هذه النقوش هذا ، ويوجد هذا الإسم «لحيان» فى أماكن أخرى من الجزيرة العربية ، على أنه اسم قبيلة ، ولكن ليس من الضرورة أن يكون بين الاسمين قرابة قريبة . وتتشابه حروف الهجاء اللحيانية كثيراً مع حروف الهجاء السبئية . ولست أجسر على أن أقرر ، ما إذا كانت حروف اللحيانية تمثل درجة أقدم فى التطور من حروف السبئية ، أم أنها موازية لها فى التطور . ونحن مدينون بالشكر فى أول حل لرموز هذه النقوش للعالم Halévy ، وقد أكمل حل هذه النقوش D. H. Müller (١) . غير انه ، مع الأسف ، لا يزال فهم

(١) فى كتاب Epigraphische Denkmäler aus Arabien (Wien 1889)

هذه النقوش القليلة العدد جدا ، والتى تتألف فى معظمها من قطع صغيرة ، بها الكثير من الكلمات المجهولة — لا يزال فهمها محدوداً . ولو قدر لنا أن نجد كمية أخرى من هذه النقوش — كما ينتظر — إذاً لأفلحنا فى فهم المجموع أيضا . وعلى كل فمن الثابت أن هذه النقوش تمثل لهجة عربية . ويدل على ذلك قبل كل شيء ، معالجتها للأصوات الأسنانية ، كما يشهد لذلك أيضا ، وجود التفريق الحاصل فى العربية فقط ، بين أصوات ع — غ ؛ ح — خ . ولأن أداة التعريف فيها « الهاء » فقد ظننت قديما أن هذه اللهجة تمثل إلى حدما حلقة اتصال بين العربية والعبرية ، كما يمكن للمرء أن يظن مثل هذا الظن ، بالنسبة للغة القبائل التى كانت تعيش فى أرض العرب ، والتى يعتبرها كتاب العهد القديم أقرب القبائل إلى إسرائيل ؛ وهى قبائل الاسماعيليين والمديانيين . ولكن ذلك الظن كان أمرا غير جائز ؛ إذ أن أداة التعريف قد بنيت فى كل لغة من اللغات السامية بناء مستقبلا ، وفى وقت متأخر نسبيا . حقا لا يعارض الاتحاد مع العبرية أن أداة التعريف ربما كانت فى اللحيانية أصلا han لأنه يمكن أن يكون ذلك كان موجوداً فى العبرية أيضا ، يوما ما .

أما تلك النقوش الكثيرة ، التى وجدت مبعثرة فى عدة أماكن من البلاد العربية ، ولا سيما فى منطقة الصفا الصخرية البرية ، غير بعيد من دمشق ، وكذلك فى بعض أجزاء وسط الجزيرة ، وبها حروف هجائية يبدو

أنها قريبة أيضا من السبئية ــ هذه النقوش، يرجح أنها ترجع إلى عصر متأخر نوعا ما عن عصر النقوش السابقة. وهى عموما قصيرة، كما أنها منقوشة نقشا سطحيا، وبلا نظام على حجارة خشنة، أو محفورة على الحجارة الملساء. ونحن مدينون بالشكر لفطنة Halâvy (١) فيما فهمناه حتى الآن من هذه النقوش ــ وهو بالطبع لا يخرج عن الآعلام تقريبا. أما فى التفاصيل، فلا يزال الكثير هنا غير مؤكد. وانه من غير المؤكد، مااذا كان النجاح يحالف ذات مرة الخبراء، وعلماء الآثار الموهوبين، بعد فحص أحسن نموذج، فى وضع أساس ثابت يمكن للمرء أن يستند إليه، فيصل بالتدريج، إلى فهم مفصل لمعظم هذه النقوش. ولعل الظن القائل بأن هذه النقوش تتبع العرب الذين هاجروا من أقصى الجنوب، له ما يبرره. وطبيعى أيضا أنه يمكن القول، بأن أقواما آخرين من العرب، هم الذين أعاروهم الخط.

وقد كان العرب الذين يقيمون فى مملكة النبط يكتبون بالآرامية. غير أن اللغة العربية. لغة المولد، كانت تلوح دائما، خلال الغطاء الأجنبى، كما رأينا سابقا. ومن هنا يعرف أن هؤلاء العرب الذين كانوا يعيشون

Essai sur les inscription du Safa (Paris 1882) Extrait (1) du Journal asiatique.

قبل ميلادِ المسيح وبعده بقليل ، كانوا يتـكلمون لهجة تتشابه كثيراً مع العربية الـكلاسيكية ، التى جاءت فيما بعد ؛ فهى ترمز لحالة الرفع فى المسمى « بالإسم المنصرف » بالضمة û (أو ô) ولحالة الجر بالـكسرة î (وكذلك أيضا لحالة النصب بالفتحة â) تماما كما فى العربية ، ولـكن بدون إضافة تنوين (n) إلى ذلك ، كما أنها تترك عموما نفس الأعلام الممنوعة من الصرف فى العربية بلا نهايات إعرابية . ويوجد رمز الرفع û (ô) أيضا فى الأعلام العربية ، فى الجهات الشمالية ، مثل « تدمر » و « إديسا » نفسها . فـكل هؤلاء العرب يمكن أن يكونوا تابعين لأصل واحد وربما لا يمثل أيضا إلى شكلا حديثا لهذه اللهجة ، كل من النقشين القديمين ، المعروفين لنا ، والمكتوبين بخط عربى حقيقى . وأولهما القسم العربى من نقش « زبد » جنوبى (حلب) والمكتوب بثلاث لغات : السريانية ، والإغريقية ، والعربية ، والذى يرجع إلى عام ٥١٢ أو ٥١٣ بعد الميلاد(١) . وثانيهما القسم العربى أيضا من نقش « حران » جنوبى (دمشق) ، والمكتوب بلغتين : الإغريقية ، والعربية ، والذى يرجع إلى عام ٥٦٨ ميلادية(٢) . وفى النقشين أخذت الأعلام فى حالة الجر أيضا النهاية u . فالتغير الحى

---

(١) Sachau, Monatsbericht der Berliner Acad. d. Wiss. 1881, 10 Febr. und ZDMG 36, 345 ff.

(٢) Le Bas – Waddington Nr. 2464; ZDMG 38,530

للنهايات الإعرابية لا يوجد فيها . أما فى التفاصيل ، فلم يُحل كلا النقشين حتى الآن كلية مع الأسف ، ولا سيما نقش زبد المكتوب بخط ردىء .

وفى العصر الذى سيطرت فيه اللغة الارامية ، أثرت هذه اللغة تأثيرا كبيراً فى مفردات اللغة العربية . فكلما بحث المرء بعناية ، كلما عرف أن كثيراً من الكلمات العربية ، التى تدل على مفاهيم حضارية ، مستعارة من الآرامية(١) . وقد اشترك التأثير الحضارى الشمالى الذى يظهر فى هذه الاستعارة ، كثيراً فى إنضاج العرب ؛ ليكونوا قادرين على دخـــول عالم التاريخ .

وقد سيطرت فى الجزيرة العربية نفسها ، فى القرن السادس الميلادى ، تلك اللغة ، التى يسميها المرء « اللغة العربية » إلى حد بعيد جدا ؛ لأنها أهم لغة تكلم بها العرب مطلقا . فالشعر الذى ازدهر حينذاك ، فى كل وسط الجزيرة العربية وشمالها ، حتى أسفل الفرات ، وما وراء ذلك — هذا الشعر يستعمل لغة موحدة . وطبيعى أن أشعار العصر الجاهلى العربى قد دونت

---

(١) انظر على الأخص كتاب Siegmund Fraenkel, Die aramäischen Fremdwörter im Arabischen (Leiden 1886).

مشوهة على وجه الإطلاق، وفى وقت متأخر جداً(١). غير أن الصرامة المطلقة لبحور الشعر وقوافيه، تضمن لنا صلاحية القوانين اللغوية فى مجموعها لهذه الأشعار. وقد طمس الشعراء الطوافون والنحويون، فى الحقيقة، كثيراً من الفروق الدقيقة بين اللهجات. ففى كثير من المواضع، قد يكون هناك مثلا - بحسب العادة الإعرابية لقبيلة ما - حالة إعرابية فى الإسم أو الفعل، مخالفة لما يعلمه النحاة، وعندئذ تغير — إلا إذا كانت فى قافية البيت ا- غير أن مثل هذا التغيير، لا يمكن أن يكون كبيراً جداً. وإن لهجة شديدة الانحراف عن عربية النحاة، لا يناسبها مطلقاً بحور الشعر المعروفة. ويبقى أن اللغويين العرب يعترفون هم أيضاً بالخلافات اللهجية الصغيرة المتعددة، الموجودة فى مختلف القبائل، ولدى شعرائها. وترينا روايات مدارس القراءات القديمة فيضا كبيراً من الفروق اللهجية. ويمكن للمرء أن يظن أن لغة الشعر كانت، على الأقل، بالنسبة لمعظم العرب، لغة فنية مصنوعة، وأن بعض القبائل اتخذت لغة القبائل الأخرى، لغة للشعر، وأن ذلك كان يناسب الشعراء الرحالة، الذين يتكسبون بالفن، مثل النابغة والأعشى، وربما أيضاً المسيحى الشريف العالم، عدى بن زيد، القاطن للحيرة (عند الفرات) والذى كان مع ذلك يمكنه أن يتكلم فى حياته العامة بلغة مغايرة لشعره. ولكن إذا كان الرعاة البدو مثلا، فى الجبال القريبة من مكة، يعالجون

---

(١) قارن ما كتبته فى مقالى عن (المعلقات) فى : Encyclopaedia Britannica وغير ذلك مما كتب فى نفس الموضوع.

منازعاتهم الصغيرة ، وخصوماتهم الشخصية ، بهذه اللغـة الشعرية . وإذا رؤساء تغلب وبكر ، المتـكبرين ، يخاطبون ملك الحيرة ، فى أشعارهم التى لا شك فى صحتها ، والتى يفتخرون فيها ، أو يطالبون فيها العطاء . وإذا كنا لا نجد فى أى موضوع من الشعر الجاهلى العربى ـ على قدر سعته ـ اختلافاً لغوياً شديداً ـ إذا صح كل هذا ، فإنه يكون من النادر أن يُظن ان كل هؤلاء العرب ، الذين هم فى معظمهم أميون ، كما أنهم غيورون على قبائلهم ، قد اجتهدوا فى أن يعبروا عن آرائهم وأحاسيسهم ، بلغة أجنبية ، أو مصنوعة كلية(١) ولهذا أخذ اللغويون العرب كذلك ، لغة الشعراء على أنها « اللغة العربية » العامة . ويصلح كل بدو الجزيرة العربية ، باستثناء الأماكن البعيدة منها ، لاعتبارهم أصحاب هذه اللغة « العربية » الصافية ، حتى بعد محمد (عليه الصلاة والسلام) بمائتى عام . وإن أعلم علماء النحو ليجعل من أول شخص قادم من البادية بجماله ، ذلك الشخص الذى لم يتعلم ، والذى لا يحفظ عشرين آية كاملة من القرآن ، ولا يعرف شيئاً من مفاهيم النحو النظرية — ذلك الشخص ، يجعل منه النحاة حكماً فاصلا ، فى هل يجوز للمرء أن يقول كذا

---

(١) بينما نجد أن لغة الشعر العربى . لغة موحدة عموماً فإننا نجد صورة أخرى مختلفة تمام الاختلاف : فى لغة الملاحم الإغريقية القديمة ، لأن اللغة (اليونية) لغة الملاحم تشذ كثيراً عن اللغة الأساسية (äolisch) . وقد أدى تأثير الملاحم إلى أن الأشعار الإغريقية ، التى كتبت فيما بعد ، كلها تقريباً : قد قلت فيها وحدة اللغة .

أوكذا فى العربية وهؤلاء العلماء المدققون ، لا يعرفون إلا اللغة الكلاسيكية الوحيدة ، التى كان البدو لا يزالون يتكلمون بها . ونحن إذا ألقينا الآن نظرة على القبائل التى خرج من بينها الشعراء خصوصاً فى العصر القديم ، فإننا نجدها على الأخص ، فى أماكن معينة من الحجاز ، وكل نجد ، وما جاورها من البلاد ، والإقليم الممتد من هناك حتى الفرات وعلى العكس من ذلك تتخلف أجزاء الحجاز الأخرى من هذه الناحية جداً . كما أن عرب الشمال الغربى ، الذين كانوا رعية للدولة الرومانية ، لا يلعبون أى دور مطلقاً ، فى هذا الشعر . ويرجح أن هذه القبائل كانت تتكلم لهجات شديدة الانحراف عن الكلاسيكية . ولا يمكن أن يعلل للفرق بينهم وبين القبائل الأخرى أنهم كانوا (فى الظاهر) مسيحيين ؛ لأن « تغلب » وغيرها من القبائل التى خرج من بينها شعراء مهمون ، كانت تدين بالمسيحية أيضاً . وقد كان شعراء داخل الجزيرة ينزلون ضيوفا على ساحات أمراء غسّان ، رعايا قيصر المسيحيين ، ولا بد أن لغتهم كانت مفهومة هناك على الأقل . وفيما عدا ذلك يبدو أن معظم القبائل التى كانت تعتنى بقول الشعر . كانت فى زمن غير بعيد جداً ، تسكن متجاورة ، وأنها بعثرت فيما بعد ، بعيداً عن بعضها ، بسبب الهجرات الكبيرة وجميعهم يحترمون قداسة مكة ، إلى حد ما ـ طالما لم يكونوا قد اعتنقوا المسيحية بعد(١) .

---

(١) بعض المعارضات التى قامت فى وجه الرأى المذكور هنا بخصوص (العربية الكلاسيكية) قد نقضتها بتفصيل فى :
Zschr. f. Assyr. 12 (1898) 171ff,

وتسمية اللغة العربية « باللهجة القرشية » تلك التسمية التي غالباً ما يستعملها الأوروبيون — تسمية خاطئة تماماً ؛ ولا توجد أبداً لدى أى مؤلف عربي . وقد يتكلم عن لهجة قريش فى أحوال نادرة ، للتعبير عن الفروق اللغوية الخاصة لمكة . ولكن تسمية اللغة « العربية » بالقرشية ليست إلا كما لو أراد المرء أن يسمى اللغـــة الألمانية بلهجة « برلين » ، أو « ليبزج » ، أو أراد أن يسمى اللغة الانجليزية بلهجة « لندن » أو « أكسفورد » وقد اعتمد على هذه التسمية ، التى خانها الحظ ، الرأى الذى تكرر القول به فى العصر الحديث ، بأن اللغة العربية الكلاسيكية هى لهجة مكة ، التى لم يتح لها تلك المكانة إلا بسبب نزول القرآن بها . غير أننا نعرف أن طريقة نطق مدن الحجاز ، ليست فى كل المواضع متفقة مع لغة الشعر . وحتى القرآن توجد به بعض الاختلافات الشديدة ، فى مقابل قواعد اللغة الكلاسيكية . وقد كان من الممكن أن تظهر هذه الاختلافات بطريقة أشد ، لو لم يخف الأعجام المتأخر الكثير منها . أما الروايات التى تقول بأن لهجة قريش هى أحسن اللهجات العربية كلها ، فإن بعضها مخترع ، وفى بعضها مجاملة للحكام الذين ينحدرون من قبيلة قريش . غير أنها تعارض — بكل تأكيد — الرأى العام للعرب ، من قديم الزمان . ولم يؤثر القرآن ، ولا لغته إلا تأثيراً ضئيلا جداً على شعر القرن التالى ، ولا على شعر القرون التالية بالطبع ، بينما كانت هذه الأشعار تتصل اتصالا وثيقاً جداً بالشعر الجاهلى القديم . وإذا كانت الثروة الشعرية التى وصلتنا من

القرون التالية ، تمتاز بدقة الرواية ، أكثر من القديمة ، فإنها يمكن أن تشهد بأن عندنا معرفة صحيحة عن هذه أيضاً .

غير أن العربية لم تصر حقاً لغة عالمية ، إلا بسبب القرآن والإسلام ؛ إذ تحت قيادة القرشيين فتح البدو ، وسكان الواحات ، نصف العالم لهم وللإيمان . وهكذا صارت العربية لغة مقدسة أيضاً . وعندئذ ظهر بعد فترة وجيزة أن كل العرب لا يتكلمون من زمان بعيد عربية الشعراء الكلاسيكية بالضبط . ويلاحظ هنا فى المقام الأول، أن عرب الشمال الغربى ، الذين تكلمنا عن وضعهم الخاص فيما سبق ، لعبوا دوراً هاماً فى العصر الأموى . علاوة على ذلك لم تكن اللغة العادية لمكة والمدينة — كما ذكرنا من قبل — كلها قديمة ، كما كانت لغة الصحراء . هذا إلى أن مواكب الفتح قد خلطت العرب الذين يتكلمون الكلاسيكية ، بالقبائل الكثيرة ، التى كانت تقطن الأماكن البعيدة ، مثل عُمان والبحرين ، ولا سيما شمالى اليمن ، التى يبدو أن سكانها الحربيين ، كانوا يفضلون حينذاك أمراً يختلف كلية عما كانت تفضله القبائل الداخلية المعتنية بالشعر . وقد كان التعريب السريع للعناصر الأجنبية التى دخلت الإسلام ، غير مناسب لبقاء وحدة اللغة أيضاً . وقد اشتركت الحركات الشديدة ، الداخلية والخارجية ، التى قابلت الشعب كله ، بسبب الحوادث الكبيرة ، فى التعجيل بالتغييرات اللغوية أيضاً . وعلى كل حال ، فقد شعر المرء ، منذ القرن الأول الهجرى بالتباين بين اللغة الخالصة ، واللغة التى شابتها شوائب . وفى حوالى نهاية القرن الثانى ، بنبيع

قواعد النحو العربى ، كما أكملت بالنسبة للعصور اللاحقة(١) . وعندئذ ثبت نظريا ، كيف ينبغى للمرء أن يتكلم العربية وقدشذت حينئذ عن هذه القواعد، شذوذاً كبيراً ، تلك الأعداد الكبيرة من العرب الخارجين عن الجزيرة العربية ، وأصبحوا لا ينطقون حركات الإعراب فى آخر الكلمة . وقد عجل بهذا التغيير الصوتى ، الذى يعنى ضياع الميزة الكبرى للغة العربية ، أن هـــذه النهايات الإعرابية ، تسقط بحسب الاستعمال اللغوى الكلاسيكى ، حينما تكون الكلمة واقعة فى آخر الجملة (فى الوقف) . وسقوط مثل هذه النهايات كثير جدا فى اللهجات العربية الحية . وهكذا نجد أن المرء كان قد تعود جدا على الصيغ الخالية من النهايات .

وقد وضع أمامنا علماء اللغة العرب باجتهادهم ، أبنية اللغة الكلاسيكية ، وكذلك مفرداتها فى حالة كمال تام . وطبيعى أنها لم تعالج دائما معالجة نقدية ، غير أننا نشكرهم مع ذلك كثيرا . وإنه لا بد أن يزداد تعجب المرء من وفرة مفردات اللغة العربية ، عندما يعرف أن علاقات المعيشة لدى العرب

---

(١) تعاليم النحاة العرب ، سوف يحصل عليها المرء كاملة تماماً، عندما ينتهى ذات يوم العمل الكبير الذى يتصل بذلك ، والذى يقوم به M.S. Howell والذى بدأ فى عام ١٨٨٠ وسمى : Grammer of the classical Arabic Language (Allahabad 1880)

بسيطة جداً ، وبلدهم ذو شكل واحد متغير ، ودائرة تفكيرهم لذلك محدودة جداً ، ولكنهم فى داخل هذه الدائرة ، يرمزون للفرق الدقيق فى المعنى بكلمة خاصة. وطبيعى أن المعاجم العربية قد تضخمت جداً ، على الأخص بسبب أنها تذكر التسميات الشعرية الشخصية الخالصة للأشياء ، على أنها كلمات خاصة . فحين يسمى احد الشعراء الأسد مثلا « بالكلاسر بالأسنان » ويسميه شاعر آخر « بالساحق » . . . الخ ، فإن المعجم العربى يأخذ هذه التسميات ، على أنها تساوى مطلقا كلمة « الأسد » . وعلى الأخص ، قد أمد شعر الهجاء والذم — الذى ضاع أغلبه — المعجمَ العربى بالتأكيد ، بتعبيرات كثيرة مخترعة ونادرة . وأيضاً كثير من الكلمات الشائعة الاستعمال أكثر مما ذكر علماء فقه اللغة ، والتى يأتى بها الشعراء عرضا ، لم تكن مألوفة فى الواقع إلا لدى بعض القبائل . ولكن كمية الكلمات لاتزال مع ذلك كبيرة جداً . وسيظل المعجم العربى دائما الوسيلة المساعدة ، لإلقاء الضوء على التعابير الغامضة ، فى اللغات السامية الأخرى . وإذا حدث ذلك مع التعقل الضرورى ، فإن كل شىء سيكون على مايرام .

والأشعار نادراً ما تكون مناسبة لإعطاء صورة واضحة عن اللغة البسيطة الحقيقية . وأيضاً فقد وجد فى الشعر العربى ، منذ البداية ، ميل معين نحو الصنعة والطريقة . والقرآن كذلك ، لا يظهر لنا لغــة الحياة إلا قليلا . وعلى العكس من ذلك ، يُظهر لنا بعضها ، النثر القديم الموجود

فى الروايات المتناقلة (الحديث) . وتقدم الحكايات الحقيقية عن أعمال النبى (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه ، وكذلك أخبار حروب ومغامرات البدو فى العصر الجاهلى ، والإسلامى الأول — كل ذلك يقدم نموذجا حقيقيا للنثر ، على الرغم من أن بعضه قد نقح فيما بعد .

والعربية الكلاسيكية ليست غنية فقط بالمفردات ، ولكنها غنية أيضاً بالصيغ النحوية ؛ إذ يرى المرء حتما نوعاً من التضخم فى ذلك النمو الزائد لجمع التكسير ، وبعض المصادر الصريحة أيضا . وقد تسبب انكماش علامات جمع التصحيح القديمة ، فى أن الفرق لم يصبح واضحاً بين الجمع ، واسم الجمع ، واسم المعنى ، والمؤنث . وهذا هو السبب فى وجود معظم العدد الهائل من المشترك اللفظى ، الذى يقابل الفيض الغزير من المترادفات . وحالة كهذه تضر وضوح التعبير ؛ غير أنها تجعل اللغة أداة طيعة للعب بالألفاظ . وقد انتفع بهذه الخاصية ، إلى أقصى حد ، المتأخرون من أهل صناعة الكلام . وفى استعمال الأزمنة ، لازلنا نرى فى العربية الحقيقية ، آثاراً للحرية ، الشعرية ، التى رأيناها فى العبرية . ولكن ذلك اختفى من أدب اللغة ، فى العصور المتأخرة . وتهتم العربية بربط الجمل ببعضها ، أكثر من العبرية ؛ غير أن الجمل الأصلية ترجح ، مع ذلك ، الجمل الفرعية ، جداً . ومن ميزة العربية الكبرى ، أنه لا يغمض فيها أبداً ، على وجه التقريب ، أين تبدأ جملة الجواب . ومحاولة التحديد الدقيق للزمن ، بإضافة

ظروف ، أو أفعال مساعدة ، لم يقد اللغة العربية (كما لم يقد غيرها من اللغات السامية الأخرى أيضاً) إلى نجاح حقيقي ؛ لأن ذلك لم يكن أمراً مطردا . ومواضع الكلمات في الجملة مقيدة . وقد فقدت علامات الإعراب في أواخر الكلمات ، الكثير من أهميتها ، بسبب أن المبتدأ والخبر — على الأقل في العادة — لهما مكانهما المحدد ، والمضاف إليه يقع دائما بعد المضاف.

وهكذا أصبحت هذه اللغة البدوية ، لغة للدين ، والمنتديات ، وشئون الحياة الرفيعة . وفي شوارع المدينة ، كان الناس يتكلمون على العموم شيئا آخر ؛ غير أن الطبقات العالية ، كانت تجتهد في أن تتكلم « العربية ». ولم يكن جائزاً للشعراء ، والأدباء أن يستعملوا إلا اللغة العربية الكلاسيكية ؛ إذ كان « النقاد » يثبتون — في غطرسة المفتخر بعلمه — حتى على الشعراء المشهورين ، في العصور المتأخرة (مثل المتنبي في القرن العاشر) سقطاتهم ، وعثراتهم ضد قواعد اللغة . ولكن العربية الكلاسيكية أصبحت أيضا لغة المعاملات والعلوم ، ولا تزال كذلك حتى اليوم وطبيعي أنه قد وجدت حينذاك درجات كثيرة من الاستعمال اللغوي ، تقع بين غطرسة المدققين في المحافظة على قواعد اللغة ، وبين استعمال اللهجات الشعبية الخالصة . أما العقلاء من المؤلفين ، فإنهم كانوا يستعملون نوعاً معيناً مشتركا من الأسلوب Κοινη الذي لا يتمسك بالصحة اللغوية الصارمة ، ويعبر عن الأشياء الحديثة ، بطريقة حديثة ؛ ولكنه يتجنب مع ذلك اللغة

العامية الخشنة ، ويأخذ فى اعتباره قبل كل شىء ، أن يكون مفهوما لدى جميع المتعلمين ، ويترك للقارىء عند قراءة الكتاب ، حرية استعمال النهايات الإعرابية القديمة ، أو عدم استعمالها . هذه اللغة ، التى يهتز أسلوبها كثيراً بالطبع ، ظلت تحيا حياة معينة طول مدة العصور الوسطى ؛ لأن المتعلمين . وليس فقط العلماء ، قد اعتنوا أن يضعوا نصب أعينهم مطلقا ، أن يستخدموا مثلا فى كل أنواع الشعر تقريبا ، اللغة البدوية دائما ، تلك اللغة التى انقرضت نهائيا منذ زمان . ويظهر فى هذا النوع من الأسلوب فقر شـديد فى المفردات — تماما مثل الـ Xoivη فى اللغة الاغرقية ؛ لأنه لا يريد أن يحتفظ من اللغة القديمة ، إلا بما هو مفهوم للعام ، ولا يأخذ من اللهجات الشعبية إلا القليل الجديد . هـذا واستعمالها فى أحدث الأشياء ، مثل الصحافة العربية ، لا يترك أى أثر سار مطلقا ، لأنها غالبا ما تقلد طرق الأوروبى تقليدا أعمى .

وإنه لمن الخطأ على وجـه الإطلاق ، الاعتقاد بأن اللغة العربية لا تصلح لمعالجة الأشياء المجردة ؛ بل إنه ليس من السهل البسيط أن تكون لغـة كاللغة العربية أداة طبيعية لفلسفة علم الكلام ، فى كل امتداداتها . ويوجد فى اللغة البدوية القديمة ميل نحو استعمال المصادر الصريحة (بعكس اللغة اللاتينية مثلا) ؛ فمثلا . يفضل المرء أن يقول : « ضرورى جلوسك » على أن يقول : « ضرورى ان تجلس » وأن يقول « فى قتلك برء لنا »

على أن يقول : « بره اننا أن تقتل » وقد كان هذا الميل خاصية كبرى للتعابير الفلسفية . وانه وإن كان تقييد وضع الكلمات فى الجملة معوقا لتطور الاسلوب البليغ حقاً ، إلا أنه مع ذلك نافع للعرض العلمى الدقيق .

هذا ، ولم تفلت اللغة العربية إلا قليلا من عوامل الزمن فى التغير والانقسام إلى لهجات ، تماماً كأى لغة اتسعت رقعتها ، وامتدت بعيدا خارج حدود منطقتها الأصلية . ويعزو علماء العربية سبب هذا التطور — دون وجه حق — إلى تأثير اللغات الأجنبية ، التى يمكن أن تكون قد احتكت بها اللغة العربية . ولكن هذا التأثير لا يمكنه أن يشترك فى ذلك إلا بقدر ضئيل جدا . ولو فرض أن الأمر ليس كذلك ، لتحتم الا تتغير اللغة العربية فى داخل الجزيرة العربية مطلقا . غير أن المرء يتكلم الآن هناك أيضاً لغة تختلف تماما عن قبل ألف سنة مضت . وأن من يريد أن يسير أموره بمعرفة اللغة العربية الكلاسيكية فقط ، فى الجزيرة العربية ، أو فى أى مكان آخر ، فإنه سيفشل بها تماما ، كما فعل رحاله الشمال ، الذين يحاولون التفاهم مع عوام الايطاليين بنوع من أنواع اللغة اللاتينية .

وقد كان للغة الأدبية بالطبع تأثير معوق جداً ، وسىء فى معظمه على تطور اللهجات ؛ إذ أن كل مؤمن عامل ، غالبا جداً مايتلو يوميا ، فى الصلاة عن ظهر قلب ، على الأقل بعض أجزاء صغيرة جداً من القرآن . كما يقابله الكتاب المقدس (القرآن) أيضاً فيما عدا ذلك فى كل مكان :

ومعظم المسلمين العرب يفهمون بالطبع على الأقل ، بعض مايتلون أو يسمعون . وهكذا كان لابد أن يكون لهذا الكتاب من التأثير على لغة المنطقة المقسمة ، مالم يكن لأى كتاب سواه فى العالم . وكذلك تقابل لغة الدين ، ولغة العلماء ، ولغة المكاتب الحكومية ، الرجل العادى أيضاً بكثرة ، وتؤدى إلى تغيير كثير من الكلمات والتعابير ، فى اللغة الشعبية إن كثيراً وإن قليلا ، إلى الصحة ، أو تقلد طريقة التعبير بها ؛ تماما كما أثرت اللغة اللاتينية ، لغة الكنيسة . والعلم ، والدولة ، أيضا قبل حركة النهضة بشدة ، على اللغات الرومانية الحية . ولكن على الرغم من كل ذلك ، فقد كانت اللهجات العربية وانفصلت عن بعضها انفصالا شديدا . وقد تقدمت معلوماتنا كثيرا عن هذه اللهجات فى العصر الحديث . فبعد أن عالج « شپتا » Spitta فى طريقته الممتازة اللهجة المصرية (١) ، حصلنا بعدئذ على دراسات دقيقة لغيرها من اللهجات العربية ، قام بها مختلف العلماء . وعلى الأخص تعلمنا الكثير عن عدد من لهجات شمالى أفريقيا ، من الدراسات التى قام بها شتومه Stumme(٢). ولهجات طرابلس ، حتى نهاية بلاد المغرب كلها، تكوّن مجموعة خاصة ، وهى اللغة المغربية ، التى تتميز بضم آخر المضارع فى صيغة المتكلم

---

(١) Wilh. Spitta – Bey, GrammatiK des arabischen Vulgärdialects von Aegypten (Leipzig 1880).

(٢) Hans Stumme, Tunisische Märchen und Gedichte (Leipzig 1893) وغير ذلك .

الجمع (مثل المخاطب والغائب)، ويجعل النون حرفا للمضارعة، فى صيغة المتكلم المفرد (مثل الجمع). وتوجد هذه الظاهرة فى إحدى الوثائق التى ترجع إلى القرن الثانى عشر، والتى وجدت فى صقلية، تلك الجزيرة التى نملك منها وثائق أخرى بالعربية (١). وقد زالت اللغة العربية من أسبانيا، فى وقت متأخر عن الوقت الذى زالت فيه من هذه الجزيرة، غير أننا نملك بعض الوثائق الأدبية باللهجة التى كانت هناك. وقد وضع العالم Pedro de Alcala قواعد ومعجما لهذه اللهجة، قبل أن تموت الفرصة بوقت قصير (٢). ويتبع المجموعة الغربية أيضاً لغة «مالطة». وهذه هى اللهجة العربية الوحيدة، التى لا يتكلمها إلا المسيحيون، ولم يتكلمها المسلمون مطلقا. ويهتم علماء اللغة على الأخص بلهجة مالطة، بسبب أنها تخلصت نهائياً من تأثير اللغة العربية الأدبية، منذ حوالى ٩٠٠ سنة. وعلى العكس من ذلك تأثرت بالإيطالية. وبالرغم من ذلك، فقد تطورت تطوراً مشابها جداً لتطور لهجات الشاطىء الإفريقى المجاور. وكذلك نعرف الآن

---

(١) كثير فى: S. Cusa, I diplomi greci ed arabi di Sicilia. I (Palermo 1868)

(٢) ظهر فى سنة ١٥٠٥ وأعاد طبعه Lagarde. واسمه: Petri Hispani de lengua arabica libri duo, Gottingae 1883.

عن لهجات الجزيرة العربية ، وسوريا ، وغيرهما من البلاد الشرقية أكثر مما كنا نعرف منذ عشر سنوات . ونذكر هنا على الأخص كتاب « راينهارت » Peinhardt عن لغة عُمان (١) ، التى تتكلمها أيضاً الجزيرة التى استعمرت من هناك ، وهى « زنجبار » . غير أن معرفتنا لهذه اللهجات الشرقية ، لاتزال مع ذلك أقل جداً مما نستطيع معه أن نقسمها إلى مجموعات محددة . وكثيراً ما تفترق لغة البدو عن لغة جيرانهم الحضر افتراقا شديداً نوعا ما . غير أن المرء لا يجوز له أن يظن أن اللهجات البدوية كوحدة ، تقابل اللهجات الأخرى .

وتطور اللهجات يرجع فى بعضه بالتأكيد ، إلى تأثير الانشقاق القديم إلى لهجات ، ذلك الانشقاق الذى حدث فى عصر النبى (صلى الله عليه وسلم) . وغالبا ما نرى فى تطور اللهجات المختلفة وجه شبه كبير ؛ فقد ظلت اللهجات العربية متشابهة بعضها مع بعض ، اكثر مما كان المرء يتوقعه مع الاتساع الكبير ، وعوائق الاتصال الجغرافية الشديدة . ويمكن أن يكون ذلك ناشئا من أن ارتحال بعض القبائل العربية قد أدى إلى احتكاك لهجات الجهات البعيدة ، بعضها بالبعض الآخر ، ومهد

---

(١) Carl Peinhardt, Ein arabischer Dialekt gesprochen in 'Omân und Zanzibar (Berlin 1894).

السبيل للتوفيق بينهما. ولكن قد يكون من الخطأ أن يُظن أن الناس مثلا فى الموصل، ومراكش، وصنعاء، وداخل الجزيرة العربية، يمكنهم أن يفهم بعضهم بعضا على طول الخط، ويعتبر «رينان» مثلا —دون وجه حق — أن الاختلاف بين لهجات اللغة العربية "قديمة أمراً عديم الأهمية، ويرفض كلية الموازنة بينهما، وبين نشأة اللغات الرومانية من اللغات اللاتينية. -فما لم تبعد أى لهجات عربية حية عن اللغة العربية الكلاسيكية ابتعادا شديدا، كما ابتعدت الفرنسية، أو الرومانية عن اللاتينية، غير أنه من جانب آخر لا توجد أيضا لهجة عربية، تقترب من اللغة الكلاسيكية، كاقتراب اللهجة «اللوجدورية» التى لا تزال تتكلم حتى اليوم فى «سردينيا» من أصلها اللغوى، مع أن الفرق الزمنى هنا كبير جدا!

وقد نظمت الأشعار فى اللهجات العربية الحديثة منذ قرون؛ غير أن هذه الأشعار ترتبط بعلاقة ما بالشعر القديم، وتخضع إن كثيراً وإن قليلا، لتأثير اللغة الكلاسيكية. ويصدق ذلك إلى حد كبير فيما عدا الشعر من الأعمال الأدبية الأخرى أيضاً؛ فالقصص الخرافية والحكايات التى كتبها غير المثقفين، لا يظهر فيها إلا ظلال للهجة، وليست اللهجة نفسها وقد أصبحت لهجة مالطة المنعزلة لغة حقيقية للأدب. وطبع بها الكثير من الكتب نوعا ما، بالحروف اللاتينية. ولم تحصل أية محاولة

جادة لرفع لهجة من لهجات المسلمين العرب إلى مصاف اللغات الأدبية إلا فى مصر فقط ؛ إذ جرؤ الرجل البارع ، محمد بك عثمان جلال ، على نقل بعض روايات الدراما ، لموليير ، (Moliére) و ، راسينى ، (Racine) إلى اللهجة المصرية الحالية . حقاً لم يتخلص مع ذلك من الاعتماد على اللغة القديمة . وقد مثلت رواياته على المسرح ولكن هل ستحظى هذه المحاولات بنجاح مستمر ؟ المستقبل وحده كفيل بالإجابة على هذا السؤال . وإنه وإن كانت تبدو لنا تلك المحاولات صحيحة ، إلا أن هناك عقبة تقف فى طريقها وهى أن اللغة الأدبية رباط مشترك لكل المسلمين العرب ، بل أنها من وجهة نظر معينة رباط لكل المسلمين مطلقاً . وليس الرأى الصلب المحافظ على القديم هو الذى يعارض فقط فى قطع هذا الرباط . ويجوز أن يكون أصعب من ذلك آمال الخطة التى شُرع فيها حديثا من جانب الانجليز ، والتى تهدف إلى كتابة اللهجة الأدبية المصرية بالحروف اللاتينيــة .

السبئية

وقد قامت فى المرتفعات الجنوبية الغربية ، قبل محمد (عليه الصلاة والسلام) بوقت طويل ، حضارة نادرة ومهمة . وكلما زادت معرفتنا بموطن السبئيين القدامى بمبانيهم الهائلة ، وكلما استطعنا أحسن من ذى قبل

فهم النقوش العديدة المكتشفة ، التى تظهر يوما بعد يوم ، كلما أدركنا تلك الهالة العظيمة التى أحاطت هذا الشعب يوما ما . والنقوش السبئية (كثيراً ما كانت تسمى حتى قبل وقت قصير تسمية أقل دقة ، وهى « الحميرية ») تبدأ قبل ميلاد المسيح بوقت طويل ، وتمتد حتى القرن السادس الميلادى وخط هذه النقوش ، المستقيم بعض الشيء واضح جداً على وجه العموم . ويسهل معرفة المعنى ، علاوة على ذلك ، الفصل المطرد بين الكلمات . غير أن هذا الفهم لايزال بالطبع غير كاف دائماً . ويرجع ذلك فى معظمه ، إلى أن الكثير من هذه الوثائق يتكون من نقوش دينية طقسية ، ذات اصطلاحات ، وتعابير كنسية خاصة ، أو تتكون من بيانات هندسية ، ذات تعابير فنية كثيرة . وتنقسم النقوش إلى لهجتين ، يظهر فيهما تارة اختلافات نحوية ، وتارة تشذ إحداهما عن الأخرى فى التعابير . فاللهجة الأولى التى تبنى فعل السببية ، كما تبنيه العبرية وغيرها بـ ha وضمير النصب الغائب فيها ، كما فى كل اللغات السامية تقريباً هو h (hū . . . الخ) — هذه اللهجة هى « السبئية » حقيقة . أما اللهجة الثانية ، التى تبنى فعل السببية بـ sa (تطابق فى ذلك صيغة Schafel فى اللغة الآرامية وغيرها) وضمير النصب فيها هو s (مثل الضمير Sch الآشورية) هذه اللهجة هى « المعينية » . ويتبع اللهجة الأخيرة تلك الأعداد الكبيرة من النقوش العربية ، التى وجدها أويتنج Euting فى شمالى الحجاز فى

منطقة el - 'Oela التي اتخذها المعينيون ، كمتجار ، محطة ثابتة لهم . وعلى العكس من ذلك ، فإن النقوش القديمة جداً ، التي وجدت في المستعمرة السبئية Jeha في الحبشة ، والتي اكتشفها العالم « بنت » Bent — نقوش سبئية . والفرق بين نوعي النقشين يرجع أصلا بالتأكيد ، إلى انقسام حقيقي في اللهجة . ولكن اختصاص جهات بنقوش سبئية ، وأخرى بنقوش معينية ، على التوالي ، فإنه يؤخذ على أنه ثبات كهنوتي على طريقة تعبير مستوردة منذ القدم ليس إلا . وقد يكون ذلك راجعاً على الأرجح إلى محافظة كنسية واعية ، للإبقاء على لغة النقوش ، خلال القرون الطويلة غير مغيرة . ويظهر في بعض نقوش الجهات الشرقية بعض الانحرافات اللغوية ؛ غير أن ذلك قد يكون ناشئا من عدم خبرة المؤلفين الدقيقة ، باللهجة التي لم يتعودوها .

ونحن لا نعرف اللغة السبئية إلا معرفة ناقصة من الخط الذي يقتصد اقتصاداً كبيراً في الحركات وبالإضافة إلى ذلك ، فإن أسلوب النقوش الجامد لا يظهر فيه أبداً بعض الظواهر النحوية المعتادة . وهكذا لا يوجد حتى الآن — حسبما أرى — أي صيغ مستقلة للمتكلم ، أو للمخاطب (ربما باستثنا بعض الأعلام التي يذكر فيها كلمة « إلهنا ») . غير أن ما نعرفه حتى الآن يكفي جداً لاعتبار اللغة السبئية أختا قريبة جداً للغة العربية المعروفة . وهذه اللغة السبئية تحتوي على نفس الأصوات الساكنة

التى توجد فى العربية ؛ إلا أنها مع ذلك يوجـــد فيها صوت من أصوات الصفير ، فقدته اللغة العربية (انظر فيما سبق ص ٢٩) كما أن فيها جمع التكسير ، وصيغة المثنى تشبه العربية . . . الخ . ومن المهم على الأخص ، أن السبئية ترمز للتنكير « بالتميم » (m فى الآخر) كما ترمز له العربية « بالتنوين » (n فى الآخر) الذى يرجح جداً أن الأصل فيه هو « التميم » وفى هذه النقطة ، وفى غيرها أيضاً ، نرى فى السبئية قدمها - طبقاً للفروق الزمنية — بالنسبة للعربية . غير أننا نستطيع أن نؤكد نوعاً ما ، أن ذلك التميم لم يعد ينطق فى القرون الأخيرة ، كلية أو فى معظم الحالات ، تماماً كما حدث للتنوين فى العربية فيما بعـــد . أما أداة التعريف فى السبئية ، فإنها « نون » تلحق الآخر . وحتى فى المحصول اللغوى للكلمات ، تقترب السبئية جداً من العربية ؛ غير أنها غالباً ماتطابق معجميا لغات الشمال كما يوجد فيها أيضاً كلمات خاصة بها وحدها(١) .

وقد تدهورت الحضارة السبئية ، بعـــد المسيحية بزمن قصير ، ثم غلبت على أمرها كلية ، تحت الصراع مع الأحباش الذين استولوا

---

(١) مصادر هـذه النقوش مبعثرة جداً . وقد أحرز فضل جمع مادتها وتفسيرها فى العصر الحديث كل من : Halévy ، Glaser ، D. H. Müller ، J. mordtmann ، Praetorius ، Hommel وغيرهم .

من جديد على البلد ، واحتفظوا بمكانهم فيها مدة طويلة فى القرن السادس الميلادى . ومع ذلك ، فإنه يرجع إلى هذا العصر أحد النقوش التاريخية الكبيرة المهمة على وجه الخصوص . وقد دخلت هنا حينذاك لغة وسط الجزيرة العربية . وفيما عدا ذلك ، فإنه من الممكن أن بعض القبائل التى كانت تعيش غير بعيد شمالى مناطق الحضارة ، كانوا أقرب جداً إلى عرب وسط الجزيرة فى اللغة أكثر منهم إلى السبئيين . وفى حوالى عام ٦٠٠ بعد المسيح ، كان أهل اليمن — ربما فيما عدا مقاطعات بسيطة — يتكلمون اللغة العربية . وقد استمرت مسألة التفاعل والاختلاط هذه إلى وقت متأخر . حقاً يبدو أن اللهجات المحلية هناك لا تزال تحتفظ ببعض التأثير المتأخر للسبئية ، نحوياً ومعجمياً . وقد كان علماء اليمن فى عدة قرون بعد محمد (عليه الصلاة والسلام) يعرفون الحروف الهجائية للنقوش التى كانت تمتلىء بها بلدهم ؛ ويتهجون الأعلام ، وبعض الكلمات السبئية ، التى كان معناها لا يزال واضحاً بالنسبة لهم ، ولكنهم لم يكونوا يستطيعون فهم كل النقوش . ولأنهم كانوا متعصبين للوطن بشدة ، فقد استخرجوا مما اعتقدوا أنهم حلوا رموزه ، خرافات كثيرة عن مجد أهل اليمن القدامى

وفى الشرق من البلاد الساحلية : الشحر Schihr ومهرا Mahra حتى الصحراء الداخليـــة الكثيبة ، وكذلك فى الجزيرة التى تسمى

سوكوترا Sokotra لازالت تتكلم حتى اليوم لهجات لا تشابه كثيراً اللغة العربية الحقيقية . وقـــد أشار إلى ذلك مؤلفو العرب فى القرن العاشر الميلادى . وقد ابتعدت هذه اللهجات كثيراً عن النموذج السامى القديم ، ولكنها قريبة بعض القرابة إلى اللغة السبئية ، دون أن تكون متولدة منها مع ذلك . وتوجد مشابهة خاصة بينها وبين السبئية ، فى أنها كذلك — تفضل الحاق ، نون ، بآخر المضارع . وتقتسم تلك اللهجات مع الحبشية ، وأيضاً مع السبئية على الأرجح ، استعمال الكاف (بدلا من التاء) فى نهايات الماضى المتكلم المفرد ، والمخاطب المفرد والجمع . ويظهر صوت s فى ضمير النصب للغائب — على الأقل فى المؤنث — كما فى المعينية . — وللأسف لا نملك إلا أخباراً قليلة ، وغير دقيقة ، عن هذه اللهجات(١) . ونتمنى بشدة أن نلاحظ كل هـذه اللهجات بعناية زائدة ؛ إذ توجد فى التأجيل خطورة ، لأن اللغة العربية الحقيقية تزحزح هذه اللهجات أيضاً ، شيئاً فشيئا عن مكانها .

الحبشية

ونجد فى الحبشة ، وما جاورها ، لغة تقارب العربية نوعا ما . وقد

(١) انظر : Baron von maltzan in ZDMG 25 und 27

كانت « الجعزية » أو « الأثيوبية (١) » الحقيقية ، لغة الدولة الأقسومية القديمة . وأقدم نصب تذكارية معروفة لهذة اللغة ، هي بعض النقوش الملكية فى أقسوم(٢) وقد كتب اثنان منها على غرار السبئية وأقدمها ذو النص المحتفظ بكتابته سليمة قد وضع بالتأكيد فى عام ٣٥٠ بعد الميلاد . والثانى قد يكون أحدث من الأول بقرن من الزمان . وقد وصلنا على هذه النصوص الحبشية فى حالة سيئة الأسف . أضف إلى هذا أن الخط ليس موفقاً بعض الشىء . ولذلك يبقى المعنى ، بالنسبة لنا ، غامضاً فى بعضه كل الغموض . ويلى ذلك نقشان كبيران ، وضعا حوالى عام ٥٠٠ بعد الميلاد ، وفيهما تظهر طريقة الخط الحبشى المستقل ، الذى يستعمل فى المخطوطات . وهو يتصل بالأبجدية السبئية بسبب . ولكنه لا يمكن أن يكون قد نشأ بسبب تطور تدريجى منه ؛ بل لابد أنه كان من أبداع شخص متروٍ . ولأنه يتحتم فى هذا الخط الرمز لكل الحركات فى داخل الصوت الساكن نفسه ، التى لا يمكنها التعبير بالضبط عن الحركات إلا بإضافة نقط أو خطوط إلى رموز الأصوات الساكنة ،

---

(١) هذه التسمية ترجع الى نقل الأحباش للامم الإغريق لبلادهم نقلا خاطئا .

(٢) D. H. Müller Epigraphische Denkmäler aus Absesinien nach Abklatschen von J. Th. Bent (wien 1894)

قارن أيضاً ZDMG 48, 367 ff.

وملك هذين النقشين رجل وثنى ، ولكن لغتهما هى لغة الترجمة الحبشية للكتاب المقدس تماماً . وربما كانت هذه موجودة حينذاك ، كما يمكن أن يكون بعضها من عمل اليهود ؛ لأن اليهود والمسيحيين قد عقدوا اتفاقا مع بعضهم ، بحماس فى تلك القرون ، إن فى الجزيرة العربية ، وإن فى الحبشة . وقد استعملوا الكثيرين حينذاك أيضاً . وكان المبشرون الذين أوصلوا الانجيل إلى الأحباش ، يتكلمون منذ البداية باللغة الآرامية ، أو على الأقل بعضهم ؛ لأن هذا وحده هو الذى يفسر استعمال كلمات آرامية فيه ، فى مفاهيم دينية معينة . وفى القرون التالية بعد ذلك ، كتب الكثير بهذه اللغة أيضا فى الحبشة ، وكان ذلك بالطبع — على قدر ما نستطيع أن نحكم — أموراً لاهوتية ، إن كثيرا وان قليلا ، وترجمات من الإغريقية عموما . ولا يمكن القول بالتأكيد متى ماتت اللغة الجعزية من على الألسنة ، غير أن ذلك يمكن أن يكون منذ ألف سنة مضت . وعندما جُددت الدولة الحبشية ، حوالى نهاية القرن الثالث عشر الميلادى ، على يد الأسرة المسماة بالأسرة السليمانية ، والتى تنحدر من جنوب البلد ، كانت اللغة الأعارية هى لغة المنتديات والدولة ، غير أن اللغة الجعزية ظلت لغـــة الكنيسة والأدب . وقد احتل الأدب الجعزى مكانة مرموقة عن طريق الترجمات العديدة ، من تلك الأعمال العربية والقبطية ، التى كان يستعملها المسيحيون المصريون . علاوة على ذلك ، يأتى الإنتاج الخاص فى الحياة المقدسة ،

والترانيم ، وما أشبه ذلك . وقد ظل هـذا الموقف الأدبى حتى عصرنا الحاضر . ولـكن بالطبع لم يكتب القسس والرهبان ، اللغة التى انقرضت من زمان دائماً نقية من الشوائب مطلقاً ؛ إذ يوجـد أحيانا تقليد أعمى لطريقة التعبير العربية . ويوجد فى مخطوطات الـكتب القديمة أيضاً عثرات كثيرة ، بالنسبة إلى اللغة القديمة . وبعض هـذه العثرات راجع إلى الغفلة والجهل فقط ، وبعضها الآخر إلى تأثير اللهجات الحديثة . ولا نزال فى التفاصيل هنا فى حالة عدم تأكد دائماً ؛ لأنه ينقصنا كلية تلك المخطوطات التى ترجع إلى الفترة القديمة .

واللغة الجعزية أشد قربا إلى السبئية ، منها إلى العربية ، وإن لم تـكن بالدرجة التى يتخيلها المرء . وإن العلاقات التاريخية الموغلة فى القدم بين السبئيين والأقسوميين ، لا يجوز أن تلزمنا باعتبار اللغة الجعزية مستعمرة من مستعمرات اللهجة السبئية إذ يمكن أن تـكون ناشئة من إحدى لهجات جنوبى الجزيرة العربية الغير معروفة ، والتى تمت لها بصلة القرابة ، كما يمكن أن تـكون ناشئة من عدة لهجات مشتركة . والظاهر أن هذا الاستعمار قد بدأ فى أفريقيا مبكراً أكثر مما يظن المرء عادة .

وتمثل الجعزية فى أشياء معينة ، تطوراً أحدث من العربية ؛ مثل : طمس معالم النهايات الإعرابية ، وفقدان المبنى للمجهول القديم ، وانتقال الأصوات التى تتطلب إخراج اللسان إلى أصوات لا تتطلب ذلك . . الخ .

وتخلط المخطوطات غالباً بين حروف هجائية معينة ، فصلت عن بعضها بعناية فى النقوش؛ وهى حروف الهاء والحاء والخاء ، وكذلك السين والشين ، وأيضاً الصاد والضاد ؛ ولكن هذا ليس بالتأكيد إلا تأثيراً للهجات الحديثة . ويُعزى إلى هـذه اللهجات — وربما بطريق غير مباشر أيضا إلى اللغات الحامية — التفخيم الشديد لبعض الأصوات ، وهى القاف ، والطاء ، والصاد ، والضاد — ذلك التفخيم الذى يحصل اليوم أيضا عند قراءة الجعزية . والصوتان الأخيران ينطقان مثل : ts و ts (مثل الصوت الألمانى z) . والميزة الخاصة بالجعزية ، وكل اللغات الحبشية ، هى هذا التفريق الشديد بين المضارع المرفوع ، والمضارع المنصوب ؛ إذ يرمز للأول بتحريك فاء الفعل (ربما أيضا فى بعض الجعزية بتشديد العين) . ويبدو أنه توجد آثار من هـذا البناء أيضا فى لهجة « مهرا » . ويُعتقد أن ذلك اكتشف أيضا ، فى اللغة الآشورية . وأداة التعريف مفقودة فى الجعزية . وعلى العكس من ذلك يوجد فيها ثراء كبير فى الأدوات والحروف . وتتفق الجعزية مع الآرامية فى بساطة الربط بين الجمل ، وحرية وضع الكلمة فى الجملة . أما ثروة اللغة فى الكلمات ، فإننا لانعرفها إلا معرفة ناقصة ؛ لأن الآداب اللاهوتية الجافة جداً ، لم تضف كثيرا إلى ما قدمه لنا الكتاب المقدس . أما الأعمال الأدبية الحديثة ، فقد أخذت معظم ثروتها اللغوية من اللهجات الحية ، ولا سيما من الأمحارية ويظهر فى معجم الجعزية علاقات مع اللغات السامية الأخرى ، ولكنه ملىء مع ذلك بالكلمات التى لا توجد

إلا فى الجعزية . ومن هذه الكلمات قسم كبير حامى الأصل . غير أن صيغ الكلمات سامية خالصة . ولكن هل يصلح ذلك بالنسبة إلى تركيب الجملة أيضا ، إذا كان موضوع الكلام هو اللغة القديمة الأصلية ؟ حقا يمكن أن يرى المرء فى تفصيل اللغة لاستعمال المصادر ، تأثيراً للغات الحامية ، التى تميل إلى هذه الطريقة من التعبير . غير أنه من الممكن أيضاً أن يكون ذلك تطوراً مستقلا ، سيما وأن مبادىء مثل الاستعمال موجودة فى العربية . وتبدو اللغة الجعزية تقريبا ، كما لو كانت أصلا لغة قبيلة لم تختلط كثيراً بلغة الإفريقيين القدامى . ولكن الأقسوميين القدامى ، الذين يحمل ملوكهم أسماء غير سامية ، لم يكونوا على العموم من الساميين الخلص وقد كانت الهجرة من الجزيرة العربية إلى الحبشة أمراً تدريجيا بطيئاً . ومن الراجح أن الاختلاط مع الشعب الأصلى هناك كان شديداً . ويشهد على ذلك تلك الظواهر الجسمية الخارجية ، للأحباش المتكلمة باللغة السامية .

ولا تزال حتى اليوم توجد لهجات يظهر بها نموذج أحدث من النموذج اللغوى الواضح لنا فى الجعزية ، ليس ذلك فقط فى المناطق الأقسومية الأصلية (تجرى Tigrê والشمال الشرقى للحبشة) ، بل أيضاً فى البلاد المتاخمة للشمال بما فيها جزر « دهلق » DahlaK . ويفرق المرء بين لهجتين أساسيتين ، تلك التى تتكلم فى « تجرى » نفسها . والثانية التى تتكلم فى البلاد المجاورة . والاسم « تجرى » Tigrê يناسب اللهجتين . وقد كان

من المفيد لو قسما إلى « تجرى » الشمالية « وتجرى » الجنوبية ؛ غير أن المرء اعتاد على أن يسمى اللهجة الشمالية ، التى يستعملها المسلمون غالباً بلهجة « تجرى » Tigrê مطلقاً ، ويسمى اللهجة التى تتكلم فى منطقة « تجرى » نفسها بالاسم الأعارى « تجرينا » Tigrina أو حسب عادة البلد الحقيقية « تجراى » Tigrai . وربما تكون لهجة « تجرى » أقرب إلى الجعزية بعض الشىء فى القواعد النحوية من لهجة « تجرينا » ؛ على الرغم من أن الأخيرة تتكلم فى الموطن الأصلى الحقيقى للجعزية . حقاً يوجد فى لهجة « تجرى » الكثير من الأبنية الجديدة الخاصة بها . ، والتى هى مرتع خصب لتأثير الحامية فيها نوعاً ما . وبحسب الدم يغلب العنصر الحامى فى أهل « تجرى » . وبعض القبائل لا زالوا يتكلمون هناك لغة من اللغات الحامية إلى جانب لهجة « تجرى » أيضاً وعلى الرغم من ذلك فإنهم ساميون إلى حد كبير . ونحن نعرف محصول « تجرى » اللغوى من الكلمات،عن طريق معاجم مختلفة(١) . أحسن من قواعدها النحوية ، غير أن جزءا كبيراً من نصوص هذه اللغة قد طبع الآن . ونأمل أن نصبح فى حال تجعلنا نحصل على

---

(١) أنظر : Munzinger و d' Abbadie فى ذيل كتاب دلمان : Lexicon Athiopicum وكذلك : Leo Reinisch , Bilin Sprachen , Bd. 2 (Wien 1887) وغيرهم

صورة دقيقة أترا كيبها النحوية أيضاً . وهذا هو الحال الآن فى لهجة (تجرينا) كذلك(١) وترجع أخبارنا النحوية ، والنصوص كلها تقريباً إلى وسط البلد ، قريباً من أقسوم القديمة ، حيث يظهر للغاية التأثير الشديد للأمحارية ، وعلى الأخص فى طريقة تحدث الطبقات المتعلمة نوعاً ما . وقد يوجد فى الأماكن البعيدة لهجات من « تجرينا » تشابه الجعزية كثيراً ، ولم يمسها بعض التغييرات النادرة . ولب لهجة (تجرينا) لا يزال رغم كل العناصر الأجنبية سامياً مطلقاً .

الأمحارية :

وعلى العكس من ذلك تماماً اللغة الأمحارية أو الـ Amarina التى تتكلم ابتداء من (تكازى) Takkazê حتى الجنوب . وطبيعى أنها هذا ليست

---

(١) انظر : Franz Praetorius, Grammatik der Tigrina—Sprache (Halle 1871).

J. Schreiber, Manuel de la langue Tigraï 1 (Vienne 1887), 2 (Vienne 1893)

L. de Vito, Grammatica della lingua tigrigna (Roma 1895).

L. de Vito, Esercizi di letteratura Tigrigna (Roma 1893).

الوحيدة المتسلطة ، غير أنها تبسط سيادتها دائماً أكثر وأكثر على اللغات الأجنبية التى تقطع منطقتها ، أو تقف على حدودها . وعلى الأخص يأتى هنا فى الاعتبار لهجات (اجاو) Agau . وإذا كانت الأمحارية قد تكبدت بعض الخسائر بسبب فتوحات شعب الجلا Galla فإنها قد عوضت على الأقل بعضها مرة أخرى ، حينما اتخذ كل من: Jàdschu – Galla و Wotto – Galla - اللذين نزلا فى شرق الحبشة - اللغة الأمحارية لغة لهم وبصرف النظر عن اللغة العربية ، فإنه لم يحدث لأى لغة سامية أن تكلم بها جمع هائل من البشر ، كما حدث للأمحارية وملاحظة أن اللغة الأمحارية تمتص لهجات (أجاو)، على وجه ما أمام أعيننا بالتدريج(١) أدت إلى الظن بأن هذه اللغة يتكلم بها أقوام ليسوا ساميين فى الأصل . وقد دعم هذا الظن ملاحظة اللغة نفسها وتقف اللغة الأمحارية بعيداً عن الفصيلة السامية القديمة ، بل أبعد من أى لهجة تكلمنا عنها حتى الآن . فقد تغير كلية الكثير من الصيغ القديمة التى احتفظت بها الجعزية ولا يزال يوجد بقايا من بناء المؤنث ، وكذلك من البناء القديم لجمع الاسم . وأعجب الأبنية الحديثة يظهر مثلا فى الضمائر . وترجع

(١) ولم يُعان مثل هذا الأمر من لهجة « تجرى » الا الاماكن الامامية من لهجات « اجاو » وهى لغة « بوجوس » Bogos و « بيلين » Bilin

نصف المفردات(١) ، على أكثر تقدير ، إلى اللغة السامية ، دون مجهود . وإلى جانب ذلك ، يجب على المرء أن يطرح من اللغة كل ما أخذته من الجعزية التى لا تزال — كلغة للكنيسة — قوية فى كل أنحاء الحبشة . ومن جانب آخر ، يجب أن يؤخذ فى الاعتبار بالطبع أن التغييرات المتداخلة للأصوات ، غالباً ما تغير شكل الكلمة كلية . وهكذا فإن كثيراً من الكلمات التى تبدو لأول وهلة كأنها أجنبية جداً ، يثبت بعد الفحص الدقيق أنها ليست إلا تحويراً قاعـدياً لكلمة معروفة(٢) . غير أن الانحرافات الشديدة توجد فى نظام الجملة . وكل ما نلاحظه كمادة لغوية

---

(١) انظر المعجم الغنى الذى ألفه : Antoine d' Abbadie
وهو (Dictionnaire la langue Amarina (Paris 1881
الى جانب القواميس القديمة التى عملها Isenberg (London 1871)
وفيما عدا ذلك ، لا يزال ما كتبه ابو علم اللغات الحبشية : Hiob Ludolf
(Frankfurt 1698) محتفظا بقيمة معينة .

(٢) ولكن Praetorius قد ذهب بعيدا فى قواعده العظيمة :
Die amharische Sprache,Halle 1879 فى ارجاع الكلمات الأعارية والظواهر النحوية ، الى نظيرها فى الجعزية . ومما يستحق ان يوصى به — كمدخل للغة — هو الكتاب المختصر ، الذى اعتمد على معارف اللغة الحية :
Ign. Guidi, Grammatica elementare della lingua amarina
(Poma 1892)

سامية ، أو قاعدة ثابتة فى اللغات السامية ؛ مثل تقديم الفعل على الفاعل ، والمضاف على المضاف إليه، وكذلك تأخير جملة الصفة على الموصوف .. الخ — كل ذلك هنا بالعكس . وغالباً ما تسقط تلك العلامة الخاصة بالإضافة ، مع المضاف إليه المقدم على المضاف . ويمكن أن يقال على وجه التقريب ، أنه سهل على مَن لم يعرف أى لغة من اللغات السامية ، أن يرضى بتراكيب اللغة الأمحارية أكثر ممن تعود على بناء اللغة السامية للكلمات والجمل . وإن ما يبدو هنا غير سامى ، هو فى لهجات « أجاو » قيادى . وهنا يرجح أن الحاميين الأوائل عندما اتخذوا اللغة السامية لغة لهم ، احتفظوا بالخصائص اللغوية ، والعادات الكلامية ، التى كانت لهم من قبل ، وحوروا اللغة الجديدة بحسبها . وليس من المؤكد ، فيما عدا ذلك ، أن يكون تحول الجهات الجنوبية من الحبشة إلى السامية (تلك الجهات التى لم تصلها حضارة الأفسوميين فى عصر الازدهار) قد جاء كله أو غالبه من الشمال .

ولم تحاول اللغة الأمحارية ، على الرغم من تسلطها قرونا عديدة ، أن تصنع من نفسها لغة أدبية . وأقدم مستنداتها بعض أشعار سجلت بالكتابة أخيرا ، وترجع إلى القرنين الخامس عشر ، والسادس عشر ، وهى صعبة الفهم . وقد بدأت محاولات مختلفة ، منذ القرن السابع عشر ، بعضها من المبشرين الأوربيين ، لكتابة الأمحارية . وفى العصر الحديث كتب بهذه اللغة الكثير الى حدما ، ولم يكن ذلك فى الحقيقة بتأثير

الأجانب فقط . وقد كونت أيضاً لغة أدبية معتدلة ثابتة القواعد ويظهر في الأعمال الأدبية القديمة بعض الشيء ، اختلافات واضحة نوعاما .

ومنذ قرون استعملت في السير والأخبار ، اللغة الجعزية المختلطة بعناصر أمحارية اختلاطا شديدا . ولغة السير والأخبار هذه – وهي خليط عجيب – تعرفنا صيغا أمحارية قديمة مختلفة من الكلمات . وشبيه بذلك أيضاً الخلط بين الجعزية والأمحارية في كثير من النقوش ، ولا سيما تلك التي تتصل بترتيب أمور المملكة ، والمنتديات العامة .

ومدينة « هرر » Harar – التي تقع بعيدا بعض الشيء عن مدينة شوا Schoa – تكون جزيرة لغوية سامية ؛ لأن لغتها تشبه اللغة الأمحارية إلى حد كبير . ويوجد في مقابل الأمحارية صيغ وأبنية بعضها أحدث وبعضها أقدم ، كما هو الحال مع اللهجات الشعبية ، التي تمت لها بصلة قرابة ، مع أنها تطورت تطورا مستقلا . ولعل اللهجة « الهررية » كانت قبل عدة قرون لهجة غير منحرفة إلا قليلا عن الأمحارية . وأما في هذه الأيام ، فإن الأمحاريين وسكان هرر لا يفهم بعضهم بعضا بأي حال من الأحوال وهذا لم يكن ليحصل ، لو أن الهرريين لم يكونوا قد أخذوا الكثير من لغات الحاميين الخلص المجاورين لهم ، بل والمقيمين معهم في نفس المدينة (الجلا والصومال والدناقل) ، وكذلك من اللغة العربية التي تأثروا بها

كثيرا ، كمسلمين يعتنقون الديانة الإسلامية . وسيظل هذا الحكم قائماً بالتأكيد ، إذا صحت معرفتنا بهذه اللغة أحسن مما هي عليه الآن(١) . ويجوز لنا أن نعتبر هؤلاء الذين يتكلمونها كمستعمرين منذ القديم للاحباش (من Schoa) ويمكن أن يسلك سلوكا مشابها لهجات « جوراجوى » Gurâgué (جنوبى شوا) وربما أيضا بعض اللهجات الأخرى التى توجد فى تلك الجهات .

وأشير مرة أخرى إلى أن هجرة الساميين إلى الحبشة ، والبلاد المجاورة لها ، لم تكن أبدا عملا موحدا ، وأنها يمكن أن تكون قد حدثت فى أزمنة مختلفة كما صدرت من قبائل وجهات مختلفة فى الجزيرة العربية ، وأنه قد تقابلت هنا عناصر شعبية ، ولغوية شتى .

* * *

---

(١) بحث السيد الدكتور إنوليتمان Enno Littmann بعناية المادة اللغوية ولا سيما التى جمعها Paulitsche فى كتابه :

Beiträge zur Etnographie und Anthropolegie der Sômâl, Galla und Harrî (Leipzig 1886)

وقد ابلغنى مشكوراً، النتائج النحوية والمعجمية التى عثر عليها، واعتمدت عليها فى الكلام السابق .

كتاب «رينان» البارع Histoire générale des langues Sémitiques (I. éd . Paris 1885) كان له أثر هام فى وقته ، رغم التعصب الكبير ، والكثير من الضلالات الحقيقية . والآن لا يزال هذا العمل خادما للعالِم فى حفز همته ، وإنارة الطريق أمامه . غير أنه أصبح فى مجموعة من العاديات ؛ بسبب البحوث ، والاكتشافات التى تمت فى القرن الأخير . ولا يزال يسترعى الإهتمام ما كتبه Ewald مثلا ، فى الفصول التى قدم بها كتابة « قواعد العبرية » والتى يتكلم فيها عن العلاقات المتبادلة بين اللغات السامية ، بقدر ما يدعو إلى المعارضة أيضا . . . وإن كتابا يؤدى للعلم فى حالته الحاضرة ما أراد رينان فى عصره أن يؤديه بكتابه ، لا يوجد مع الأسف .

تصويب الخطأ

ص	س	خطأ	صواب
٥	٥	wiesler	Wiesler
٩	١٥	Buchart	Bochart
١١	١٦	هـذة	هـذه
١٣	١٢	السامية الأولى	السامية الأولى(٢)
١٥	٩	دئرة	دائرة
١٦	٨	Sèmitipues	Sèmitiques
١٦	١٢	william wright	William Wright,
١٦	١٣	Camparativ	Comparative
١٦	١٧	11g2	1892
٢٥	١٨	popoel	popoli
٢٨	٧	in . . . im	în . . . îm
٢٨	١٠	ina	îna
٣٠	١٣	والفيزيقية	والفينيقية
٣٢	١٣	الآشوية	والآشورية
٣٤	١	يقيدينا	يقيدنا
٣٥	٦	وغيرها إلا ، أن	وغيرها ، إلا أن
٤٣	١٨	Ssmiticarum	Simiticarum
٤٤	٧	تمثيلة	تمثيلية
٤٤	١٤	Lmbus	Jambus
٤٥	١٥	فوق	فرق

الخطأ والصواب

ص	س	خطأ	صواب
٤٦	١	Pa[٣]al ولكنها[٣]âsà	Pa[٢]al ولكنها[٢]âsâ
٤٨	١	الجزءا	الجزء
٤٩	١	الحالة	للحالة
٥٠	٦	يضا	أيضاً
٥٤	١٩	Aufsâtze	Aufsätze
٥٦	٣	الجليلة	الجليلية
٥٩	١٠	للهجة	اللهجة
٦٢	٤	يامنا	أيامنا
٧١	٦	بين أصوات ع — غ	بين أصوات الحلق ع ـ غ
٧٦	١	وإذا رؤساء	وإذا كان رؤساء
٨١	١	واحد متغير	واحد غير متغير
٨١	٥	«بالكلاس بالإسنان»	«بالكاسر بالاسنان»
٨٤	٨	Xovη	Xoivη
٨٤	١٢	طرق الأوروبى	طرق التعبير الأوروبى
٩١	٤	لمسبح	المسيح
٩٤	٧	عام ٦٠	عام ٦٠٠
٩٦	١٦	Absesinieh	Abessinien
٩٦	١٧	wien	Wien
٩٦	١٣	نفسه ، التى .	نفســـه ، فإنه يظهر الأصوات بشكل أوضح من أنواع الخطوط السامية الأخرى ، التى .

الفهـــــــرس

المطبعة الكمالية
٢٥ شارع محمد عبد اللطيف عابدين